القسم: الدراسات الاجتماعية / التاريخ

اسم المقرر : حاضر العالم الإسلامي

المرجع المعتمد للدراسة : تاج السر حران ، حاضر العالم الإسلامي .

المراجع المساعدة :

- جميل المصري ، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة .
- داود الفاعوري ، محاضرات في حاضر العالم الإ سلامي.

المركز العالمي للكتاب الإسلامي ، حاضر العالم الإسلامي .

-عبد العظيم سبيع ، حاضر العالم الإسلامي .

-علي جريشة ، حاضر العالم الإسلامي .

- محمد الهزايمة ، حاضر العالم الإسلامي

المحاضرة التمهيدية

المقدمة:

يمر العالم الإسلامي اليوم بظروف عصيبة ، و يقف أمام تحديات و أحداث عظيمة، و قد تكاثرت عليه الأعداء من داخله و خارجة، و تتابعت النكبات و المآسي، و لا يمكن للمسلم المخلص حيالها إلا أن يهتم بأمته و بأمرها، و من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، و نحن إذ نتعرض في هذا المقرر إلى أحوال العالم الإسلامي الحاضرة و إلى واقعة السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و بعض قضاياه المعاصرة، فإنما نرمي إلى تعريف المسلم بعالمه الإسلامي الكبير و بقضاياه، و بالتحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة و كيفية تذليلها، و التعرف على إخوانه في أقطار الأرض و على مواطن قوة عالمه الإسلامي، للعمل على المحافظة عليها، و معرفة أماكن الضعف و التغلب عليها.

و لقد مرت الأمة المسلمة في أحقاب تاريخها المختلفة بظروف عصيبة تفوق ظروفها الحاضرة حين أغار عليها المغول و التتار، ثم جاءها الصليبيون في حملاتهم المعروفة، و تكالب عليها الاستعمار الأوربي بعد ذلك، وقد تجاوزت الأمة كل ذلك، و كانت تتغلب عليها دائماً حين تعود إلى أصالتها و هويتها، و تتحصن بعقيدتها ودينها.

و الحديث في موضوع العالم الإسلامي ليس بالأمر السهل ، فالمصادر متباينة في أخبارها، و مختلفة في تقديرها و وجهات نظرها، و كثير منها كتب بأيد لا تضمر الخير للإسلام و أهله، و ليس هناك مصادر أصيلة موثوق بها في هذا الميدان. كما هو حال من يكتب في السيرة النبوية مثلاً، و على الكاتب أن يستعين بمصادر و مراجع مختلفة و متباينة، و يحاول أن يأخذ منها ما تطمئن إليه النفس و يقبله منطق الأحداث.

و لا بد – عند البحث في هذا الموضوع – من التعريف بالعالم الإسلامي ثم بجغرافيته، و أهميته السياسية و الإستراتيجية و الاقتصادية و الثقافية، ثم بأسباب ضعفه خاصة ما قام به الاستعمار الغربي من تشجيع للدعوات الإسلامية الهدامة و الإلحادية، و ما بثته أجهزته الاستشراقية و التنصيرية من أفكار و سموم أسهمت إلى حد بعيد في إضعاف العالم الإسلامي ، كتشجيعه للنزعات القومية و العنصرية، و تقسيمه للعالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة ذات حدود مصطنعة، و بذره لبذور الخلاف بين تلك الدويلات، ثم إسقاط للخلافة الإسلامية.

ثم تأتي بعد ذلك أهمية التعرض لحركات الصحوة الإسلامية حديثها و معاصرها، مثل الحركة السلفية التي قامت في نجد و غيرها من بلدان العالم الإسلامي، فهناك الحركة السنوسية في ليبيا، و الحركة المهدية في السودان، ثم حركة الجامعة الإسلامية و جمال الدين الأفغاني و تلاميذه، و في مجال الصحوة الإسلامية المعاصرة نتحدث في دور المملكة العربية السعودية المتمثل في قيام بعض المؤسسات الإسلامية الداعية لتضامن العالم الإسلامي و تنميته، مثل رابطة العالم الإسلامي و المؤسسات الثقافية و التعليمية الإسلامية.

و قبل أن نختم حديثنا ببعض الحلول المقترحة لمشاكل العالم الإسلامي في الوقت الحاضر ، نعرض للجانب الآخر و المهم من أحوال العالم الإسلامي ألا و هو الأقليات المسلمة و مشاكلها، سواء كان ذلك في الفلبين أو كشمير أو كانت تلك قضية المسلمين في فلسطين.

الفصل الأولى: أهمية العالم الإسلامي ومقوماته الأساسية

موقع العالم الإسلامي:

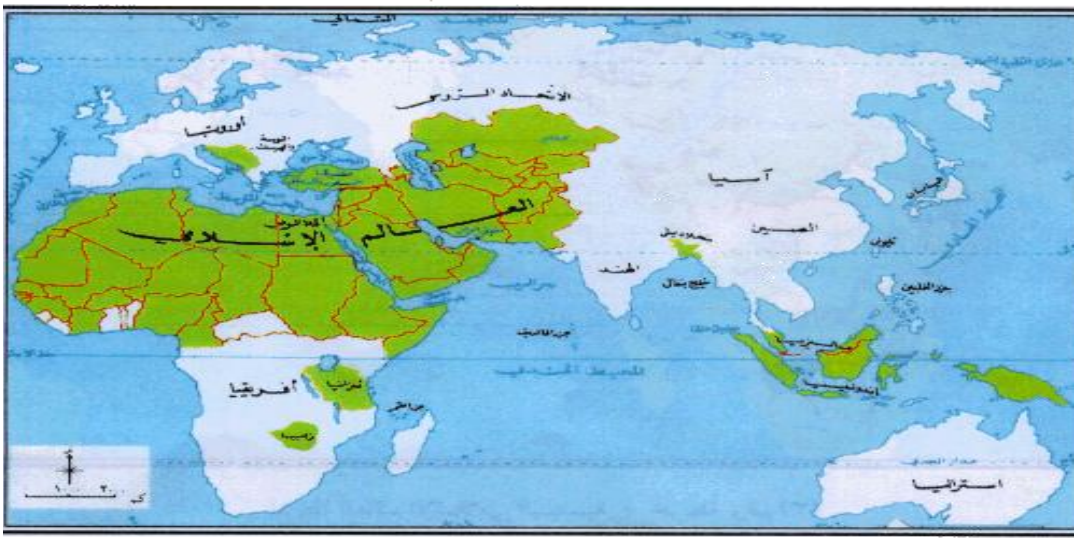

تضاريس العالم الإسلامي:

الوحدات السياسية للعالم الإسلامي:

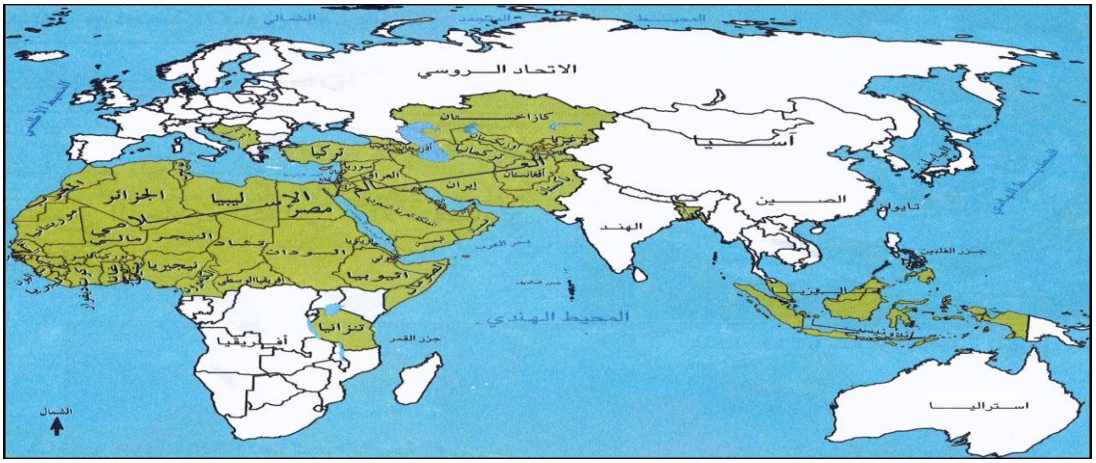

خرائط إضافية توضيحية:

أهمية العالم الإسلامي:

يتمتع العالم الإسلامي بمميزات متعددة أكسبته أهمية كبيرة كما جعلته موطناً للصراع بين القوى العالمية المختلفة عبر العصور المختلفة، و أشهر هذه المميزات:

أولاً: الموقع الإستراتيجي:

يحتل العالم الإسلامي قلب العالم القديم (آسيا و أفريقيا و أوروبا) و يكون جسراً أرضياً يربط هذه القارات الثلاث و يشغل مساحات واسعة فيها، فهو يمتد من جزر الملايو شرقاً إلى الأندلس غرباً، و من تنزانيا جنوب خط الاستواء حتى كازاكستان في الشمال، و بهذا يشكل المسلمون محيطاً اجتماعياً عظيم الامتداد، و ليس العالم الإسلامي كما يصوره الجغرافيون الأوروبيون قطاعاً صحراوياً فقيراً في موارده متخلفاً في سكانه ، فهو يقع كما يقال في "صرة العالم" ممسكاً بأطرافه، متحكماً في محيطاته و بحاره و خطوط ملاحته، زاخراً بأهم الأنهار و أخصب الأراضي و أعظم الثروات.

هل يشرف العالم الإسلامي على مسطحات مائية؟

- **إطلالة العالم الإسلامي على البحار والمحيطات:**

فالعالم الإسلامي بامتداده الجغرافي هذا يشرف على أهم الأذرع المائية من جهة نظر الملاحة و التجارة الدولية، فالبحار الهامة التي يشرف عليها العالم الإسلامي هي: البحر المتوسط و البحر الأحمر و الخليج العربي و بحر العرب و البحر الأسود و بحر الصين الجنوبي، و هذه الأذرع المائية تتصل بالمسطحات المائية العالمية الكبرى كالمحيط الأطلسي، حيث تعيش مجموعات إسلامية كبيرة على سواحل أفريقية الغربية – أي من طنجة شمالاً حتى خليج بيافرا جنوباً، و على ساحل المحيط الهندي يعيش المسلمون على بلدان القطاع الساحلي من شرق أفريقيا، مثل الصومال و تنزانيا و أثيوبيا، كما أن العالم الإسلامي يطل على المحيط الهادي من خلال بعض جزر إندونيسيا و الفلبين.

- **المضائق التي يشرف عليها العالم الإسلامي:**

إن هذه الإطلالة المائية جعلت العالم الإسلامي يشرف على عدة منافذ بحرية عظيمة الأهمية هي:

١ - مضيق جبل طارق: الذي يتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر المتوسط.
٢ - مضيق الدردنيل و البوسفور: يتحكمان في اتصال البحر الأسود بالبحر المتوسط.
٣ - قناة السويس الإستراتيجية: التي تربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط.
٤ - مضيق باب المندب و خليج عدن: اللذان يتحكمان في اتصال البحر الأحمر ببحر العرب.
٥ - مضيق هرمز و خليج عمان: يتحكمان في اتصال المحيط الهندي بالخليج العربي.
٦ - ثم هناك مضيق ملقا و سنغافورة: يتحكمان في اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي و المحيط الهادي.

كل ذلك أكسب العالم الإسلامي أهمية إستراتيجية و عسكرية لها خطورتها في ميزان القوى العالمية، و هذا يفسر لنا تكالب الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي، و رغبتها في السيطرة عليه بالعمل على إثارة المشاكل فيه حتى يبقى ممزقاً فيسهل عليها التحكم فيه ، و من تلك المشاكل زرع اليهود الصهيونيين في فلسطين و غزو جنوب السودان و قضايا المسلمين في كشمير و الفلبين أثيوبيا و الصومال و أرتيريا، إلى آخر تلك المشاكل التي تقف عقبة في وحدة و تعاون أجزاء العالم الإسلامي، و تبقيه تحت دائرة نفوذ تلك القوى الاستعمارية.

ثانياً: الموارد الطبيعية:

يمتاز العالم الإسلامي بأهمية اقتصادية هائلة بما حباه الله من ثروات طبيعية متنوعة: زراعية و حيوانية و معدنية.

- **الثروات الزراعية:**

يحوي العالم الإسلامي أراضي زراعية واسعة، و تجري فيه كثير من الأنهار الهامة منها: نهر النيل و الكونغو (زائير) و النيجر في أفريقيا، و دجلة و الفرات و السند و الفنج و سرداريا "سيحون" و أمودايا "جيحون" و العاصي و الليطاني و الأردن في آسيا، هذا بالإضافة إلى المياه الجوفية التي يحظى بها العالم الإسلامي.

و لاتساع العالم الإسلامي تنوع المناخ، حيث تسود هذا العالم مختلف المناخات **الاستوائية و المدارية و الموسمية و المعتدلة، فالمناخ الاستوائي الحار الماطر طوال العام ذو الغابات الكثيفة** يسود في الملايو و أكثر الجزر الإندونيسية و جنوب السودان، أما ال**مناخ الموسمي الحار الماطر صيفا** فيسود مناطق بنغلاديش و اليمن و عمان و نيجيريا و ساحل غينيا و هضبة الحبشة، و هناك **المناخ القاري بقسميه: الصحراوي الحار** الذي يسود الصحراء الأفريقية الكبرى و شبة جزيرة العرب و جنوب إيران و جنوب باكستان و صحراء ثار في الهند، أما **المناخ الصحراوي البلود** ففي هضبة إيران و هضبة الأناضول و تركستان. كما أن **المناخ الدافئ المعتدل (مناخ البحر المتوسط)** فيسود على شواطئ البحر المتوسط الجنوبية و الشرقية و الشمالية.

و من أهم الغلال الزراعية في العالم الإسلامي ما يأتي:

١ - **الأرز**: يتوافر في ماليزيا و بنغلاديش و باكستان و مصر و إندونيسيا.
٢ - **القمح**: في إيران و أفغانستان و تركيا و باكستان و الشام و مصر و العراق و المملكة العربية السعودية و بلدان المغرب العربي.
٣ - **الخضروات والفواكه**: و تتوافر في إقليم البحر المتوسط، **الموز** في الصومال و أفريقيا الغربية، **الحمضيات** في تركيا و شمال أفريقيا و بلاد الشام و بخاصة في فلسطين، **التمر** في المناطق الصحراوية.
٤ - **القطن**: ويتوافر **طويل التيلة** منه في السودان و مصر، و **متوسط التيلة** في تركيا و باكستان و أفغانستان و إيران، و **قصير التيلة** في المغرب العربي و باكستان، كما أن القطن يزرع في الجمهوريات الإسلامية في الإتحاد السوفيتي السابق و تركستان و أذربيجان و داغستان غربي بحر قزوين، و تنتج هذه المنطقة وحدها أكثر من إنتاج دول العالم الإسلامي مجتمعة. حيث يصل إنتاج العالم الإسلامي إلى حوالي ٤٠% من الإنتاج العالمي للقطن.
٥ - **الحبوب الزيتية**: و منها **السمسم** في السودان و مصر و إندونيسيا، **و الفول السوداني** في السودان و نيجيريا.
٦ - **قصب السكر**: في باكستان و بنغلادش و إندونيسيا و السودان و مصر.
٧ - **المطاط**: من غابات الإقليم المداري، و تنتج نيجيريا وحدها ٧٢% من إنتاج المطاط العالمي، كما تزتجه كل من إندونيسيا و الملايو.

- **الثروات الحيوانية:**

إن تنوع مناخ العالم الإسلامي أدى إلى وجود المراعي الطبيعية الواسعة، مثل حشائش السافانا و غيرها، و تلك المراعي و الأعشاب هيأت لنشأت ثروة حيوانية متنوعة داخل قطاعات العالم الإسلامي المختلفة، من **ماعز و ضأن و إبل و خيل و بقر**.

- **الثروة المائية:**

إن إطلالة العالم الإسلامي على البحار والمحيطات و المنافذ المائية و احتوائه على أنهار كبيرة و بحيرات و بحار داخلية (كبحر قزوين) هيأ الأسباب لتوفر ثروات مائية كبيرة مثل: الأسماك و الأسفنج و اللؤلؤ، فهناك الأسماك في اندونيسيا و باكستان و تركيا و ماليزيا و مصر و المملكة العربية السعودية و المغرب. و هناك أيضا الأسفنج الموجود بالقرب من سواحل البحر المتوسط الجنوبية و سواحل البحر الأحمر، أما اللؤلؤ ذو الشهرة الواسعة فيكثر في مياه الخليج العربي و بعض مناطق البحر الأحمر، و يجد اللؤلؤ الآن منافسة شديدة من اللؤلؤ الصناعي.

- **الثروة المعدنية:**

تحتوي أرضي العالم الإسلامي على معادن تعتبر ثروات طبيعية هامة و موارد مستغله، و بعضها غير مستغل، و من أهمها:

أ - **البترول والغاز الطبيعي:** و تحتل دول العالم الإسلامي مركزا متفوقا في مجال إنتاجه و احتياطية الذي يقدر بأكثر من حوالي ٥٧% من احتياطي العالم البترولي، و أكثر من ٥٣% من احتياطي الغاز الطبيعي، و ينتج العالم الإسلامي اليوم نحو ثلث الإنتاج العالمي من النفط، و يساهم بأكثر من نصف النفط المعروض في الأسواق العالمية، و أهم المناطق الإسلامية لإنتاجه هي:
١ - **منطقة الخليج العربي**: المملكة العربية السعودية و الكويت و العراق و إيران و قطر و البحرين و عمان و الإمارات العربية المتحدة.

٢ - **منطقة جنوب شرق آسيا**: ماليزيا و إندونيسيا و سلطنة بروناي.
٣ - **منطقة قفقاسيا:** بين بحر قزوين و البحر الأسود، و تستغله روسيا.
٤ - **منطقة شمال أفريقيا**: ليبيا و الجزائر.
٥ - **غرب أفريقيا**: نيجيريا و الكاميرون و توجو.
٦ - هناك **بعض البترول** في مصر و السودان و اليمن.

و الدول العشرة الأوائل في العالم في احتياطي البترول حسب ترتيبها هي:

١- السعودية	٢- الكويت	٣- روسيا	٤- المكسيك	٥- إيران
٦- العراق	٧- الإمارات	٨- الولايات المتحدة	٩- فنزويلا	١٠-ليبيا

يلاحظ أن من بين هذه الدول العشرة هناك ست دول إسلامية، و هذه دلالة على ما يتمتع به العالم الإسلامي من أهمية بوجود هذه المادة في أراضية.
و أهمية البترول كمصدر من أهم مصادر الطاقة لا تحتاج إلى كثير بيان، فبدونها لا يمكن قيام أي نوع من أنواع النشاط الاقتصادي، سواء كان زراعيا أو صناعيا أو تجاريا، و بدون الطاقة تتوقف وسائل النقل و المواصلات في العالم، و البترول مادة خام لكثير من الصناعات الكيماوية و البترولية، و هو فوق هذا و ذاك يشكل المورد المالي الأساسي لمعظم الدول المنتجة له، و كما قدمنا فإن العالم الإسلامي ينتج زهو ثلث الإنتاج العالمي النفطي.

ب - معادن أخرى: وفي العالم الإسلامي ثروات معدنية أخرى
١ - **الفوسفات:** الذي تصنع منه الأسمدة الزراعية، و يوجد في المملكة العربية السعودية و تونس و الأردن و السنغال و الجزائر و مصر و سوريا، وينتج العالم الإسلامي حوالي ٢١% من إنتاج الفوسفات في العالم.
٢ - **الكروم:** الذي يستعمل في صناعة الصلب و السبائك الحديدية، و يوجد في إيران و تركيا و باكستان و السودان و ألبانيا، و أكثر الأقطار الإسلامية إنتاجاً للكروم هي تركيا التي تنتج حوالي ٤١% من جملة إنتاج العالم الإ سلامي، و تليها ألبانيا ثم إيران و باكستان، و يبلغ إنتاج العالم الإسلامي من الكووم حوالي ١٩% من إنتاجه العالمي.
٣ - **الحديد:** موجود في ماليزيا و تركيا و إيران و المغرب و الجزائر و باكستان و مصر و غينيا و موريتانيا و تونس.
٤ - **القصدير:** موجود في ماليزيا و إندونيسيا و إيران و المغرب العربي و تركيا و نيجيريا، و يبلغ إنتاج العالم الإسلامي أكثر من نصف الإنتاج العالمي.

و على هذه الثروات المعدنية يقوم العديد من الصناعات المهمة التي تسهم في بناء و نمو اقتصاد البلاد الإسلامية ، و تساعد على رفع مستوى دخل الأفراد و النهوض بمستويات المعيشة، خاصة و أن رؤوس الأموال متوفرة في العالم الإسلامي و بخاصة في البلدان المنتجة للبترول ، و كذلك تتوفر الأيدي العاملة و بخاصة في البلدان المكتظة بالسكان مثل: إندونيسيا و بنغلاديش و باكستان و مصر و نيجيريا و غيرها.

باختصار فإن الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي: من خلال ما سبق يتضح لنا الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي و التي تفوق أهمية غيره من المناطق، نتيجة لما يتمتع به من خصائص هي باختصار:

١ - موقعه في قلب العالم القديم (آسيا و أفريقيا و أوروبا) و توسطه بين ذلك العالم القديم و الجديد (أمريكا الشمالية و الجنوبية و أستراليا).
٢ - إشرافه على البحار و المحيطات العالمية الهامة.
٣ - توافر مواد الوقود، و كذلك الموانئ البحرية و صفاء أجوائه معظم أيام السنة، مما جعله مركزاً مهماً للمواصلات العالمية.
٤ - توافر و تنوع محاصيله و منتجاته الزراعية.
٥ - توافر المعادن المتنوعة الضرورية كمواد خام لكافة الصناعات الخفيفة و الثقيلة، أضف إلى ذلك ازدياد أهمية هذا العالم بشق قناة السويس التي سهلت اتصال الشرق بالغرب بحراً، و قلصت المسافات إلى حد بعيد.

ثالثاً: أهمية العالم الإسلامي البشرية:

سكان العالم الإسلامي مجملهم و معظمهم مسلمون يكونون أمة الإسلام أو الأمة الإسلامية ، و هي أمة فريدة من حيث ماهيتها و مقوماتها و ترابطها و وحدتها، فوحدتها ثابتة، و مظاهرها كثيرة و متشابهة، و متشعبة لا مثيل لها، و هي قائمة على أسس راسخة أهم مظاهرها:

١ - **وحدة العقيدة**: فالتوحيد و شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله هي أصل وحدة المسلمين على كافة اختلافاتهم العرقية و اللغوية و السياسية و غيرها.

٢ - **وحدة العبادة**: فالهدف الأسمى بالنسبة للأمة الإسلا مية هو عبادة الله الخالق القهار ، و وحدانية هذه العبادة تتجلى في الممارسة و السلوك، فوحدة القبلة في الصلاة مظهر له وقعة في الأمة الإسلامية، و كذلك صوم شهر رمضان في السنة ، و كذلك الحج في شهر معلوم و يوم معلوم و بلباس واحد و مناسك واحدة و وقفتهم في عرفة في يوم واحد.
٣ - **وحدة التشريع**: إن مصدر التشريع في الإسلام هو القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة، و الشريعة هي قانون المسلمين الأوحد.
٤ - **وحدة السلوك في العادات والتقاليد** : تتجلي في الأفراح و الأتراح، و في آداب المسلمين في السلام، و في عونهم للمحتاج و إغاثتهم للمصابين من المسلمين و غيرهم في الكوارث و النوازل، منطلقين من مبدأ: "و تعاونوا على البر و التقوى".
٥ - **وحدة اللغة**: فاللغة "لغة القرآن الكريم" هي لغة مشتركة بين جميع المسلمين، فتعلمها واجب من أجل معرفة قواعد الإسلام و أداء عباداته.
٦ - **وحدة التاريخ ووحدة الآمال والهدف** : فتاريخ المسلم أيا كان موقعه هو تاريخ الأمة الإسلامية . فالتاريخ الإسلامي إلى جانب وحدة التطلع أمرين رابطان بين أفراد أمة الإسلام.

مفهوم الأمة الإسلامية:

وفي ضوء ما سبق يعرف البعض **الأمة الإسلامية** بأنها: "مجموعة من الناس يعيشون على رقعة جغرافية واحدة و متشابهة التضاريس، تجمع بينهم عوامل مشتركة مثل العرق و الدين و اللغة و التاريخ و الثقافة و العادات و الأخلاق و المصالح المشتركة و الأماني السياسية الواحدة، و بمعنى آخر فإنها وحدة اجتماعية متماسكة لديها الانسجام و الرغبة العامة في الحياة المشتركة".

و الواقع إن مثل هذا التعريف لا ينطبق تماما على الأمة الإسلامية، لكون تلك الأمة لا تعيش على رقعة جغرافية واحدة ، و ليس العرق (الجنس) عاملا مشتركا لكون الإسلام لكل الأجناس ، و عليه يمكن تعريف الأمة ا لإسلامية و التي تعتبر أكثر شمولا من مفهوم **العالم الإسلامي** بأنها:" **قطاع كبير من البشرية آمن بالله رباً و بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا و اتبع ما أنزل عليه و ما جاء به"**.

و هي أمة باقية ما بقى الإسلام، فدعوته دعوة عالمية لا تقتصر على أمة دون أمة، أو بلاد معينة، فالإسلام لكل الناس، وهو يرعى مصالح أهله و غيرهم من أهل الذمة. و المسلمون الذين يزيد عددهم عن المليار نسمة يعيشون على أرض العالم الإسلامي التي تصل مساحتها إلى ما يقرب من ربع مساحة العالم، و يضاف إلى أولئك المسلمين ما يقرب من ربع عددهم يعيشون كأقليات مسلمة في وسط مجتمعات أخرى.

المحاضرة الثالثة: أهمية العالم الإسلامي ومقوماته الأساسية

دول وشعوب العالم الإسلامي

مفهوم العالم الإسلامي:

نعني بالعالم الإسلامي الشعوب و الدول ذات العقيدة الإسلامية على اختلاف بيئاتها و مناطقها و تباين ثقافاتها و تعدد سلالاتها البشرية، و يندرج تحت مفهوم العالم الإسلامي أيضاً الأقليات المسلمة التي تعيش في دول غير إسلامية.

و الدول الإسلامية هي الدول التي يغلب على سكانها الإسلام كعقيدة، كأن يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠% من مجموع السكان، و يتفاوت عدد الدول الإسلامية من وقت لآخر تبعاً للظروف، فمثلاً بعد تفكك الاتحاد السوفيتي زاد عدد الدول الإسلامية خمس دول ، و من ذلك أيضاً ظهور جمهورية البوسنة و الهرسك في أوربا بعد تفكك يوغسلافيا الاتحادية.

العالم الإسلامي – فقهياً:

و العالم الإسلامي – فقهياً – هو دار الإسلام، ذلك أن فقهاء المسلمين كانوا قد قسموا العالم إلى قسمين:

١ - **دار الإسلام:** هي الأرض التي تسودها شريعة الإسلام و تقام فيها حدوده، و إن كان جل أهلها من غير المسلمين.
٢ - **دار الحرب**: هي الأرض التي تسود فيها شرائع غير شريعة الإسلام و إن كان جل أهلها من المسلمين . و لما كانت شريعة الإسلام لا تطبق إلا في ديار قليلة، فإننا مضطرون إلى استعمال مصطلح العالم الإسلامي في معناه الجغرافي

و تشغل أرض العالم الإسلامي مساحة تزيد عن ٢٥% من مساحة اليابسة في العالم ، و يرجح البعض تلك المساحة بحوالي ٣١ مليون كم٢. و تمتد من الشرق إلى الغرب بطول حوالي (١٧٠٠٠) كم من أدريان الغربية في إندونيسيا على الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي، كما تمتد من الشمال إلى الجنوب حوالي (٧٠٠٠) كم، أي من تركستان الغربية و جنوب الأورال شمالاً إلى موزمبيق جنوباً، فهو على ذلك مفهوم جغرافي يشمل الدول التي تسكنها أكثرية مسلمة أو كانت تخضع للمسلمين سابقاً أو كانت ذات أغلبية مسلمة، و القائمة الموجودة ملحق توضح أسماء بلدان العالم الإسلامي، و مساحة كل بلد، و عدد سكانها بما فيهم غير المسلمين، و نسبة المسلمين حسب أحدث التقديرات.

- **الدول الإسلامية على الصعيد الآسيوي:**

١- السعودية	٢- الكويت	٣- قطر	٤- البحرين	٥- الإمارات العربية المتحدة
٦- اليمن	٧- إندونيسيا	٨- العراق	٩- سوريا	١٠- لبنان
١١- فلسطين	١٢- الأردن	١٣- إيران	١٤- تركيا	١٥- أفغانستان
١٦- باكستان	١٧- بنجلادش	١٨- ماليزيا	١٩- بروناي	٢٠- سلطنة عمان

- **الدول الإسلامية على الصعيد الإفريقي:**

١- مصر	٢- تشاد	٣- السودان	٤- النيجر	٥- ليبيا
٦- مالي	٧- تونس	٨- غينيا	٩- الجزائر	١٠- غامبيا
١١- المغرب	١٢- السنغال	١٣- موريتانيا	١٤- جيبوتي	١٥- الصومال
١٦- الجابون	١٧- الكاميرون	١٨- جزر القمر	١٩- توغو	٢٠- نيجيريا
٢١- غينيا بياد	٢٢- سيراليون	٢٣- أوغندا	٢٤- فولتا العليا	٢٥- ساحل العاج
٢٦- أفريقيا الوسطى	٢٧- جمهورية الصحراء			

و إلى جانب هذه الدول في آسيا و أفريقيا هناك الأقليات المسلمة في أوروبا و آسيا و أفريقيا و العالم الجديد.

حاضر العالم الإسلامي:

يمر العالم الإسلامي اليوم بظروف عصيبة ، و يقف أمام تحديات و أحداث عظيمة، و قد تكاثرت عليه الأعداء من داخله و خارجة، و تتابعت النكبات و المآسي، و لا يمكن للمسلم المخلص حيالها إلا أن يهتم بأمته و أمرها، و من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، و نحن إذ نتعرض إلى أحوال العالم الإسلامي الحاضرة ، و إلى واقعة السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي، و إلى بعض قضاياه المعاصرة ، فإنما نرمي إلى تعريف المسلم بعالمه الإسلامي الكبير و قضاياه و التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، و كيفية تذليلها، و التعرف على إخوانه في أقطار الأرض، و على مواطن قوة عالمه الإسلامي للعمل على المحافظة عليها، و معرفة أماكن الضعف و التغلب عليها.

و لقد مرت الأمة المسلمة في أحقاب تاريخها المختلفة بظروف عصيبة تفوق ظروفها الحاضرة حين أغار عليها المغول و التتار، ثم جاءها الصليبيون في حملاتهم المعروفة، و تكالب عليها الاستعمار الغربي بعد ذلك، و قد تجاوزت الأمة كل ذلك، و كانت تتغلب عليها دائماً حين تعود إلى أصالتها و هويتها، و تتحصن بعقيدتها و دينها.

وعدد الدول الإسلامية (٦٥) دولة: تشكل الدول العربية الآسيوية (١٢) دولة و بها أهم التجمعات الإسلامية، والدول الإسلامية الأخرى (٥٣) دولة، و في الواقع أن مفهوم العالم الإسلامي أكثر اتساعاً من مجموع الدول الإسلامية المعروفة لدينا ، سواء كانت منضمة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي أو على طريق الانضمام بعد تفكك الاتحاد السوفيتي أو اليوغسلافي، فمثلاً هناك دول لم تشترك بعد في منظمة المؤتمر الإسلامي: منها أرتيريا و أذربيجان و ألبانيا و أوزبكستان و تركمانستان و طاجيكستان و قرغيزستان و كازاخستان و البوسنة و الهرسك.

كما أن هناك أقليات إسلامية في أماكن متعددة من العالم ، و تقدر نسبة تلك الأقليات المسلمة بحوالي ٣٢% من المسلمين في العالم، أي ما يزيد عن ٢٠٤ مليون مسلم، و غالبيتهم يعيشون في قارة آسيا حيث يوجد المسلمون في الهند و الصين و الاتحاد السوفيتي السابق.

السكان وعوامل اللقاء بين المسلمين :

من الصعب إعطاء أرقام دقيقة عن عدد سكان العالم الإسلامي، و الأعداد الموجودة لدينا أعداد تقريبية، و هذا يعود للأسباب الآتية:

١ - غياب الإحصاءات السكانية الدقيقة التي تشمل الانتماء الديني.
٢ - عدم إفصاح الدول عن نتائج التعدادات السكانية خاصة انتماءات السكان الدينية، لكون ذلك يمس التوازنات السياسية بها (أحيانا).
٣ - عدم توافر الوعي الإحصائي لدى السكان، فكثيرا ما يتهرب الناس من قيد أنفسهم في بيئات التعدد خوفا من هذا الأمر أو ذاك مثل خوفهم من التجنيد أو الضرائب أو غير ذلك من الأسباب، و هذه كلها تؤثر على مصداقية التعداد.
٤ - عدم توافر الإمكانيات اللازمة للقيام بالتعداد السكاني، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية التي تعتمد في تعدادها على التقديرات.
٥ - اعتماد بعض التعداد ات أساس العينة، و قد يتم استبعاد المسلمين من العينة و خاصة إذا كانت الدولة تريد أخفاء أعداد المسلمين الحقيقية، كما حصل في أثيوبيا عام ١٩٧٠م.
٦ - وجود المشكلات العرقية و الدينية في عدد من البلاد الإسلامية مما تؤثر على نتيجة التعداد و قيمته الفعلية، إذ أن المجوعات الدينية و العرقية تضخم حجمها في التعداد، و هذا ما حصل فعلا في نيجيريا بعد الاستقلال عام ١٩٦٣م، و في لبنان عام ١٩٣٢م عندما أجري التعداد السكاني الذي على أساسه سيحدد توزيع الوظائف الدستورية وغيرها.
٧ - عدم توافر إحصاءات دقيقة للأقليات المسلمة لأسباب عديدة، كما أن عملية التحول إلى الإسلام عملية مستمرة.

و لذا أصبح من العسير التوصل إلى تعداد دقيق لسكان العالم الإسلامي، كما أننا نجد أن نسبة السكان المسلمين في مختلف دول العالم تتفا وت تفاوتا كبيرا تبعا لنوعية المصادر، فالمصادر الأجنبية تقلل من أعدادهم، في حين أن بع ض المصادر الإسلامية تضخم في أعدادهم، فعلى سبيل المثال قدرت المصادر الأجنبية أن نسبة المسلمين في الغابون ١٠%، في حين قدراتها المصادر الإسلامية بـ (٤٠%)، و عليه فالاعتماد على الإحصاءات الرسمية و التقديرات السكانية عملية لا تخلو من بعض المخاطر.

و رغم هذه المصراعب فيمكن القول أن عدد المسلمين في العالم اليوم يزيد على ألف و مائتي مليون نسمة، أي أنهم يزيدون عن ٢٥% من سكان العالم، و يتركزون في آسيا و أفريقيا، ففي آسيا يوجد حوالي ٧٠% من مجموع المسلمين في العالم، و أفريقيا ٢٦%، و في بقية القارات ٤%، و عدد المسلمين في الدول العربية يمثلون نحو ١٦،٢% من إجمالي عدد المسلمين، وجل المسلمين من أهل السنة ويؤلفون حوالي ٩٣%، بينما يبلغ الشيعة ٦%، و هم بهذا العدد طاقة بشرية هائلة لو فطنت لذاتها و أحسن الاستفادة منها.

الانتماء العرقي والعقائدي:

على الرغم من أن المسلمين ينتمون إلى عدد من المجموعات العرقية و القومية، كالمجموعة العربية و المجموعة الإيرانية و المجموعة الأفغانية مثلا، إلا أن العالم الإسلامي الذي يعيشون فيه يشكل وحدة متماسكة، و كتلا متقاربة يمكن أن تتحقق فيها عوامل الوحدة الإسلامية بداية لقيام الوحدة الكبرى، وأشهر هذه المجوعات هي:

١ - **مجموعة الدول العربية أو الكتلة العربية**: يبلغ عدد المسلمين فيها حوالي ٧٤١ مليون نسمة، أي نسبه ١٦،٢% من مجوع سكان العالم الإسلامي.
٢ - **الكتلة الإيرانية و الأفغانية و الباكستانية و الكشميرية و البنغالية**: سكانها حوالي ٢٠٠ مليون نسمة، أي نسبة ٢٢% من المسلمين في العالم.
٣ - **الكتلة الإندونيسية الماليزية**: و تضم دولتي إندونيسيا و اتحاد ماليزيا، و المسلمون فيها حوالي ٣٢١ مليون نسمة، أيبنسبة ١٣،٥% من مجموع سكان العالم الإسلامي.
٤ - **الكتلة الأفريقية**: و تشمل دول النطاق الصحراوي و دول شرق أفريقيا، و المسلمون فيها حوالي ١٧٨ مليون نسمة، أي نسبة ١٩،٦% من مسلمي العالم.
٥ - **الكتلة التركية القوقازية**: و تشمل تركيا و الجمهوريات و الولايات في مرتفعات القوقاز، و هي: أذربيجان و داغستان و شاشان و أنجوشيا و أوستينا و قرنشاي و الأوديجا، و المسلمون فيها حوالي ١١٠ مليون نسمة، أي نسبة ١٢% من مسلمي العالم.
٦ - **الكتلة التركستانية**: و تسكنها العناصر المغولية التركية ، و المسلمون في هذه الكتلة التركستانية حوالي ٥٧ مليون مسلم، أي حوالي ٦،٥% من مجوع السكان المسلمين في العالم و هي مقسمة إلى:
أ - **الأقاليم التابعة للصين**: و عدد المسلمين فيها حوالي ١٨ مليون مسلم.
ب - **الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي (السابق):** و هي أوزبكستان و طاجكستان و تركمانيا وقزقستان و قرغيزيا و نتاريا و الجوفاش، وعدد المسلمين فيها حوالي ٣٩ مليون مسلم.

عوامل الوحدة الإسلامية:

يفصل بين المسلمين اليوم الحدود السياسية، و الفرقة الاجتماعية و الاقتصادية، بسبب الاستعمار الذي أصاب العديد من دول العالم الإسلامي، و مع ذلك فهناك عوامل كثيرة لا تزال - إلى حد كبير - تؤلف بينهم و تربط بين أقطاره، ومن أهمها:

١ - **الدين الإسلامي**: فقد جعل الإسلام من المسلمين أمة واحدة من دون الناس، و تجتمع على كتاب الله العزيز و سنة رسوله الكريم ﷺ و على ثوابت عقدية لا تتغير و لا تتبدل، و كانت هي أساس المجتمع الإسلامي الذي ضم شعوبا و أمما مختلفة، انصهرت في بوتقة الإسلامية، و أقامت وحدتها على أساس عقيدتها الإسلامية الواحدة.

٢ - **اللغة العربية لغة القرآن**: كذلك تجمع بين المسلمين لغة واحدة هي العربية: لغة القرآن الكريم، فهي لغة الإسلام التي تدعوهم إلى حبها و تعلمها رغبة في فهم شرائع دينهم الحنيف الواردة في كتاب الله عز و جل و سنة نبيهم ﷺ، فكانت لغة العلم و الثقافة و التأليف تعلمها و كتب بها علماء المسلمين، كما كانت لغة الحديث و التعامل، و بذلك صارت العربية لغة المسلمين في شتى أقطارهم.

٣ - **التاريخ الإسلامي المشترك** : و يجمع بين المسلمين بالإضافة إلى ذلك مشاعر و أهداف واحدة، إذ أ نهم تعرضوا جميعا لأوضاع متشابهة و تحديات تكاد تكون واحدة، فهم يشتركون في كثير من الآمال والآلام.

أما ملايين المسلمين الذ ين يعيشون أقليات خارج حدود العالم الإسلامي فيعانون من مشاكل عدة، و لكنهم ظلوا دائما يشعرون بانتمائهم إلى أمة الإسلام و بهويتهم الإسلامية، و أنهم جزء لا يتجزأ من الكيان الإسلامي، و تلوح في الأفق الآن تباشير تضامن بعض الدول و المنظمات الإسلامية معهم، حيث بدأت تهتم بأمورهم و تعقد المؤتمرات و الندوات لمناقشة و محاولة إيجاد الحلول لمشاكلهم، و من تلك الجهود جهود منظمة المؤتمر الإسلامي و رابطة العالم الإسلامي و الندوات العالمية للشباب الإسلامي، و جهود بعض الجامعات والمؤسسات الأكاديمية.

المحاضرة الرابعة: ضعف العالم الإسلامي

واجه الإسلام كثيراً من التحديات من أول ظهوره، و تعرض لكثير منها (داخلية و خارجية) أثناء مسيرته، و لكنه بقي و استمر و انتشر، و ظل ينتشر حتى يومنا هذا، فالإسلام في الوقت الحاضر جبهة عريضة زاحفة، و ما استطاعت الأزمات و المصاعب أن تقضي عليه، و إنما تغلب عليها كلها رغم ما أصابه و أصاب أهله من جراح، و استمر الحال كذلك إلى أن دخل الوهن و الزيغ إلى قلوب المسلمين، فتغيرت أحوالهم و أصابهم الضعف، و انتقل الإسلام و أهله من مواقع القيادة و الريادة إلى موضع التبعية و الهوان، و كان وراء ذلك كله عوامل داخلية و خارجية، أثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه التليد إلى حاضره الأليم.

عوامل ضعف العالم الإسلامي:

هناك خلاف و جدل بين المفكرين المسلمين و المهتمين بأمر الأمة الإسلامية حول تحديد الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين و ضعفهم، فقد رد **أصحاب الدعوات و الحركات الإصلاحية السلفية** سبب تأخر المسلمين إلى ا بتعادهم عن تعاليم دينهم الصحيحة ، و شيوع البدع و الضلالات بينهم، ثم إلى تشتتهم إلى فرق تصارع و تنازع بعضها بعضاً، فتبددت طاقتهم المادية و الفكرية و تمكن منهم عدوهم. و يرى أصحاب هذا الرأي (الحلول) أن الرجوع بالإسلام إلى ماضيه التليد لن يكون إلا بالرجوع إلى صفاء الإسلام الأول، و ذلك لن يكون إلا بتنقية الدين من البدع و الشوائب التي ألمت به و باعدت بين المسلمين و بين جوهر الدين الصحيح.

أما عن أصحاب **الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي** فقد أشار جمال الدين الأفغاني و الشيخ محمد عبده أن سبب تأخر المسلمين يرجع إلى عزوفهم عن الأخذ بالمفيد من أساليب الحضارة الغربية، و بالذات بالجانب التقني منها مع النهي و البعد في نفس الوقت عن التقليد الأعمى للغرب و حضارته، خاصة في جوانبها الفكريةو الثقافية.

أما الرأي الآخر الذي لا يمثل وجهة ال نظر الإسلامية الصحيحة فهو ما قال به **بعض العلمانيين** ممن يزعمون أنهم من مسلمين و نصارى العرب أن سبب تأخر المسلمين راجع إلى التعصب الديني، و إلى عدم مواكبة الإسلام لروح العصر، و غير ذلك من الترهات و الأباطيل التي لا يرضاها مسلم غيور على دينه.

أما الأمير شكيب أرسلان الذي يمثل رأي **الحادبين على مصلحة الإسلام** و المسلمين فيُرجع تأخر المسلمين إلى أسباب عدة مثل الجهل و العلم الناقص و عدم الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام و التخلق بأخلاقه السمحة، ثم كذلك ضياع الإسلام بين الجامدين من علمائه و الجاحدين عليه. و هناك آخرون يعددون أسباباً أخرى بعضها سياسي مثل **الانقسام السياسي** لدولة الإسلام، و بعضها **أخلاقي تربوي** مثل غياب حرية الفكر، و تعميم المعرفة.

و كل هذه العوامل التي عددها أولئك الباحثون هي في الواقع عوامل داخلية، و لعل معظمها ينحصر في ضعف التمسك بالعقيدة الإسلامية، الأمر الذي أفقد المسلمين عنصر من عناصر وحدتهم و ريادتهم و جعلهم يجهلون ثوابت عقيدتهم الإسلامية التي بها ساد المسلمون الأولون ، فتخلى

بعض المسلمون اليوم عن الحكم بما أنزل الله و طبقوا الشرائع المدنية الوضعية بدلاً عن شرعهم الإسلامي ، فساد الاضطراب و فسدت الحياة، فوقعت المجتمعات الإسلامية في مشارق الأرض و مغاربها تحت سيطرة أعداء الإسلام الذين عملوا على زيادة تشتت المسلمين و بث الأفكار الباطلة و الهدامة بينهم، فتصدع البنيان الإسلامي و تفرق المسلمون طوائف و نحلاً متفرقة متنافرة متحاربة.

١- الغزو المغولي (التتري):

أدى تفكك الخلافة الإسلامية خاصة و الانقسام السياسي فيها في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي إلى ظهور ثلاثة خلفاء في العالم الإسلامي:

١- الخليفة العباسي في بغداد ٢- الخليفة الفاطمي في مصر ٣- الخليفة الأموي في الأندلس

فكان أن تصدعت الوحدة الإسلامية، فضعف العالم الإسلامي في مواجهة أعدائه و من أولئك المغول و الصليبين.

و كانت أحوال الخلافة العباسية من الضعف بمكان بحيث استطاع **هولاكو الوصول إلى بغداد** عاصمة دار الإسلام، فأحدث فيها الخراب و الدمار، منهياً بذلك الخلافة العباسي في بغداد، ثم تقدم نحو الشام فأحدث فيها م ا فعله في العراق **فسقطت له دمشق في عام ٦٥٧ هـ**، و اشتركت معه فرق **نصرانية أرمنية و أفرنجية** حباً في التشفي و الانتقام من المسلمين، فنظموا مواكب عامة و حملوا الصلبان و أخذوا يذمون الإسلام و أهله، و أجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراماً لمواكبهم، و بلغ بهم الحد أن شربوا الخمر في رمضان و رشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، و هكذا ذُل الإسلام و أهله على أيدي المغول و حلفائهم النصارى حتى قيض الله للمسلمين **المماليك في مصر الذين استطاعوا الوقوف أمام هذا الخطر** و ردوا المغول على أعقابهم ، فهزموا جحافلهم في **معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م** بعد أن كان المغول قد أسهموا في ضعف العالم الإسلامي و إنهاكه.

٢- موقف اليهود من الإسلام:

و هناك عوامل تعود في أصلها إلى اليهود و موقفهم العدائي من الإسلام منذ ظهوره و حتى يومنا هذا، و **عدائهم للإسلام ونبيه** ﷺ في المدينة بل في الجزيرة العر بية كلها، أمر تزخر به كتب السيرة و التاريخ، فهناك مؤا مراتهم ضد الرسول ﷺ و محاولاتهم وقف الدعوة الإسلامية **ببث الفرقة و الخلاف** بين المسلمين من جهة، و بينه و بين أهل المدينة من جهة أخرى، ثم **نقضهم للعهود المبرمة** معهم، و **الصد عن الإسلام** بشتى الوسائل. بل إن عداءهم للإسلام و أهله استمر حتى عصرنا هذا، و تمثل في **موقفهم و دورهم في إسقاط الخلافة العثمانية** (كما يرى البعض)، وكذلك في **الحركة الصهيونية**، وما قامت به من **استلاب لأراضي فلسطين و تشريد أهلها**، ثم ما تقوم به من **اعتداءات على الدول العربية والإسلامية المجاورة و على الحركات الإسلامية في تلك البلاد**.

٣- الحركة الصهيونية:

و تشكلت هذه الحركة التي **تهدف إلى تجميع يهود العالم في كيان صهيوني في فلسطين استناداً على مزاعم دينية وتاريخية باطلة** ، و على **استلاب الأراضي العربية لإقامة دولتها الكبرى** التي تمتد من الفرات إلى النيل ، تشكل تحدياً رئيسياً للإسلام و المسلمين، لا يقل عن التحدي الصليبي الذي واجهه المسلمون و لا يزالوا يواجهونه حتى اليوم.

و يتمثل الخطر الصهيوني في **ارتباط الصهيونية بالاستعمار** و تعاونها معهم بغرض تمزيق وحدة العرب و المسلمين، و الحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا و أفريقيا. و كذلك **محاولة إتمام الغزو الثقافي** للعالم الإسلامي بتدمير كل قيمه و أنظمته و أخلاقه، و **إحلال أسلوب الإلحاد والإباحية والتسلط** ثم **بثها للفكر الماسوني** المرتبط بها و ذلك في محاولة لتدمير الدين و لتنفيذ ما جاء في التوراة المحرفة من إقامة دولة إسرائيل الكبرى، و فرض الهيمنة اليهودية و الماسونية من أشد الأخطار التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم، إذ أنها تعمل في الخفاء و تبث سمومها بين أبناء المسلمين بأساليب ماكرة ملتوية قد لا يدركها الكثير من شباب المسلمين المثقف.

٤- الحروب الصليبية:

و هي إحدى مظاهر عداء الغرب الصليبي للإسلام و أهله و لعلها التحدي الأكبر الذي واجهه العالم الإسلامي في القرون الوسطى، و الذي استغل ظروف الانقسام التي كان يمر بها ، فحاولت زرع كيان صليبي غريب في قلب ذلك العالم، فكانت أول تجربة للاستعمار الغربي الحد يث في الأراضي الإسلامية المقدسة، فانتزعت بعض أراضيه وأقامت فيه ممالكها و إماراتها الصليبية، و أدخلت ذلك الجزء من عالم الإسلام في دوامة حروب و صراع استنفذ جهوده و موارده الاقتصادية و البشرية، مما أدى إلى الانهيار الذي تعرض له في أواخر القرون الوسطى.

و كانت **الحروب الصليبية** عام (١٠٩٩م - ١٢٥٤ م) في حقيقتها وسيلة لاستعمار الشرق الإسلامي و القضاء على الإسلام تحت شعار الدين، و قد سبقها تمزق الوجود الإسلامي في الأندلس و تفرق حكامه و رجحان كافة الحكام النصارى عليهم، و بدأت حروب الإسلام و أهله في حروب

صليبية لا تقل شراسة عن الحم لات الصليبية التي ستتوجه إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، و بدأت عمليات تفتيت المسلمين مادياً و معنوياً بصورة بطيئة، مع تجردهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم. و تم عزل الأندلس عن قاعدته في المغرب الإسلامي، و لكنه بالرغم من ذلك بقي يقاوم على مدى قرون عديدة إلى أن **سقطت غرناطة** آخر معاقل المسلمين عام (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) بيد **فرديناند و إيزابيلا** فاغتصبت أرض الأندلس الإسلامية و أزيل الوجود الإسلامي منها تماماً و بشتى السبل، و قد عانى المسلمون فيها معاناة قاسية كما عانى إخوانهم في المشرق عندما تدفقت عليه جموع الصليبيين **فاستولوا على عاصمة الأتراك السلاجقة** المسلمين في **نيقية** عام (٤٩١هـ / ١٠٩٧م)، و كونوا في **بلاد الشام و آسيا الصغرى و إمارة الرها و إمارة إنطاكية و إمارة طرابلس و مملكة بيت المقدس اللاتينية** عام (٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) و ضرب الصليبيون آنذاك مثالاً للحقد على الإسلام و المسلمين، فاتسم الغزو بروح التعصب و الانتقام، فقد س**فكوا دماء المسلمين في الرها و إنطاكية و طرابلس و بيت المقدس**، و من ذلك سفك دماء حوالي سبعين ألف مسلم أو يزيد في ساحة المسجد الأقصى من العلماء و الطلاب و العباد و الزهاد، و عملوا مثل ذلك في مدن المسلمين التي اجتاح وها، ففي **المعرة** قتلوا جميع من كان فيها م ن المسلمين اللاجئين إلى الجوامع ، فأهلكوا ما يزيد عن مائة ألف إنسان في أكثر الروايات.

و هكذا استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق استنزاف جميع القوى البشرية و المادية في منطقة الشام و مصر، فضعفت أوضاع المسلمين الاقتصادية و تناقصت الثروة، بالإضافة إلى الخراب و الدمار الذي حل بالمسلمين و بخاصة في الشام و مصر و آسيا الصغرى و تونس و الأندلس، كما أن تلك الحروب كانت مقدمة للاستعمار الأوروبي الحديث، و لكل ما نتج عن ذلك الاستعمار من آثار سلبية في كل أنحاء العالم الإسلامي ثقافياً و سياسياً و اقتصادياً و اجتماعيا.

٥- الاستعمار الأوروبي:

فقد بدأت حركة التوسع الأوروبي أول ما بدأت كنتيجة لحركة الكشوف الجغرافية التي بدأت في القرن الخامس عشر الميلادي، و التي كانت ترمي إلى تطويق العالم الإسلامي اقتصادياً و عسكرياً بهدف إضعافه و السيطرة على تجارة الشرق التي كان المسلمون هم القائمون بأمرها، و تحويل تلك التجارة (عبر هذا الطريق الجديد) إلى أيدي البرتغاليين و غيرهم من الأوروبيون حرماناً للتجار المسلمين منها و للدول الإسلامية المستفيدة (كمصر مثلاً) من ريعها و فوائدها الاقتصادية، بل إننا نذهب أبعد من ذلك فنقول إن الروح الصليبية الرامية إلى ضرب المسلمين ضربة أخيرة و القضاء على الإسلام قضاء مبرماً كانت بادية و واضحة في حركة الكشوف الجغرافية، فقد كان قادة البرتغال مدفوعين بتلك الحروب الصليبية، حيث إنهم اعتبروا أنفسهم مكلفين بالثأر للحملات الصليبية الفاشلة، فكان هدفهم مزدوجاً:

أ - انتزاع تجارة التوابل و البهارات من أيدي المسلمين.

ب - تطويق العالم الإسلامي استراتيجياً و اقتصادياً كخطوة أولى نحو إضعافه، و إحلال النصرانية محل الإسلام فيه.

و قد تمكنوا بالفعل من تحويل طريق التجارة عن بلاد الشام و البحر المتوسط إلى المحيطات الكبرى: الأطلسي و الهندي و الهادي، فأدى ذلك إلى إضعاف تجارة المسلمين و صناعتهم و زراعتهم، و أخيراً إلى ضعفهم الاقتصادي و العسكري و السياسي، الأمر الذي مهد إلى فرض الهيمنة الأوروبية عليهم، و التي أدت في نهاية الأمر إلى مرحلة الاستعمار الأوروبي الحديث على معظم بلدان العالم الإسلامي.

وقد اتخذ هذا الاستعمار الحديث أشكالاً عدة منها الاحتلال العسكري، و كذلك الهيمنة الاقتصادية عن طريق الشركات و القروض و الاحتكار... الخ، و اتخذ كذلك شكل الحماية و الانتداب و الوصاية، و لعل أهم أ نواع هذا الاستعمار الحديث و المعاصر و أدومها و أكثرها خطراً هو الاستعمار الفكري الذي لا يزال العالم الإسلامي يعاني من ويلاته.

و قد تنافست الدول الأو ربية في استعمار العالم الإسلامي ، فمثلاً استعمرت بريطانيا ماليزيا و شبه القارة الهندية و سواحل الخليج العربي و جنوب الجزيرة العربية و مصر و السودان ثم العراق و شرقي الأردن و فلسطين، و بعض البلدان الأفريقية التي تضم أكثريات إسلامية مثل نيجيريا و تنزانيا و دول أخرى مثل غانا و أوغندة ...الخ، و استعمرت فرنسا العديد من بلدان العالم الإسلامي مثل المغرب و الجزائر و تونس ثم سوريا و لبنان و موريتانيا و تشاد و مالي و السنغال و غيرها، و استعمرت إيطاليا ليبيا و جزءاً من الصومال و أرتيريا، و استعمرت أسبانيا الريف المراكشي و الصحراء المغربية و إقليم مورو الإسلامي في الفلبين ، وأما هولندة فاستعمرت إندونيسيا، و سيطرت روسيا على تركستان الغربية و الأراضي الإسلامية في آرال و شبة جزيرة القرم و بلاد القفقاس (القوقاز)، و امتد نفوذها حتى شمالي إيران، و هكذا وقع معظم العالم الإسلامي تحت السيطرة العسكرية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية للاستعمار الأوروبي الإمبريالي، و كان لهذه السيطرة نتائج مدمرة أثرها باق معنا حتى الآن، كما له دوراً أسياسياً و فاعلاً في إضعاف الإسلام والمسلمين.

٦- حركتي الاستشراق والتنصير:

و ما تقومان به من ه دم فكري ثقافي في أوساط المسلمين بهدف طمس هويتهم، و إحداث أزمة ثقة بالنفس في أوساطهم (سيأتي الحديث لاحقاً عن كلا الحركتين).

٧- دعوات الإلحاد الآتية من خارج العالم الإسلامي:

كالشيوعية (مثلاً) التي تبث سمومها بين أفراد الأمة الإسلامية، كالقاديانية و البهائية و غيرهما، و كلها ترمي إلى هدم العقيدة الإسلامية، و من ثم إلى فك عرى وحدة المسلمين بغرض إضعافهم و تمهيد السبيل لسيطرة المستعمرين عليهم.

نتائج ضعف العالم الإسلامي:

لقد تكالبت كل هذه العوامل على تنوعها في إضعاف العالم الإسلامي، و اتخذ هذا الضعف عدة مظاهر منها:

أولاً: الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية:

بضعف العالم الإسلامي تخلى المسلمون عن دورهم الريادي في قيادة البشرية، و تخلوا عن واجباتهم و تبعاتهم الإسلامية، و قعدوا عن إعمال العقل، ففترت فيهم روح الاجتهاد، و ركنوا إلى التبعية و التقليد، و انقطعت صلتهم بماضيهم و إرثهم الإسلامي، و شملهم الجمود، و قلت فيهم روح التجديد و الإبداع، بل دار علماؤهم حول ذلك الماضي و عكفوا على نصوص الماضين و على كتبهم يعجبون بها و لا يتعلمون منها، و يقفون عاجزين أمامها، ينزلونها أحياناً منزلة العصمة و القداسة، فماتت في الأمة روح الإبداع و الابتكار و مواكبة العصر و مواجهة تحدياته.

و عندما بدأ العالم الإسلامي يفيق من غفوته و ينفض عنه غبار الجم ود منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) نتيجة للحركات السلفية الإصلاحية كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، و الحركة السنوسية في ليبيا، و الحركة المهدية في السودان، و الحركات السلفية في الهند، و حركة عثمان دان فوديو في غرب أفريقيا، ففي ذلك الوقت كان الاستعمار الغربي قد بدأ يمد سيطرته على عالم الإسلام مستعيناً بحركات التنصير، فاشتد التحدي و لم شعث المسلمين و بث الحياة من جديد في أوساطهم و إعادة الثقة إلى نفوسهم، و كان نجاحها محدوداً في مناطق محدودة.

و قد بدأ الاستعمار حربه ضد الإسلام و المسلمين بإبعادهم عن تراثهم الفكري الإسلامي، فبدأ بالشريعة الإسلامية فأبعدها عن كافة مناحي الحياة الفعلية، و أخذ يشوه معالمها فكرياً ليصرف المسلمين عنها، و قد عمل فعلاً على إلغائها تدريجياً و استبدالها بالقوانين الوضعية باستثناء قانون الأحوال الشخصية، فعل ذلك في الهند عندما تمت له السيطرة على تلك البلاد، و ألغاها في السودان حينما قضى على الثورة المهدية في عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م)، و كذلك فعلوا في كل مستعمراتهم الإسلامية الآسيوية منها و الأفريقية، و لم يقف الحال عند هذا الحد بل امتد تآمر الاستعمار الغربي إلى طمس م عالم الحكم الإسلامي في الدولة العثمانية، و امتدت حركة استبدال الشريعة الإسلامية بقوانين وضعية أخرى إلى مصر و ذلك منذ أن دخلها نابليون غازيا و مستعمراً في عام ١٧٩٨م، و استمرت حركة التبديل و التحديث (كما أسموها) على عهد محمد علي و أبنائه، و اكتملت حلقات التآمر على الشريعة عندما ا حتل البريطانيون مصر عام ١٨٨٢م، وكذلك كان حال بلاد الشمال الأفريقي تحت حكم الاستعمار الفرنسي: ففي تونس طبق القانون الوضعي المقتبس من القوانين الفرنسية عام ١٣٣٣هـ (١٩٢٤م)، و لم يكن الحال في المغرب و الجزائر بأسعد منه في تونس، حيث بدأت فـرنسا في تعطيل أحكام الشريعة في كلا البلدين و إحلال الأعراف البربرية و القبلية محل القوانين الشريعة الإسلامية كوسيلة للقضاء على الكيان المغربي و الهوية الإسلامية في المغرب و الجزائر، و ربما أخرج القبائل البربرية من الإسلام، لأن الفرنسيين كانوا موقنين أن التخلي عن التحاكم لغير الشريعة الإسلامية هو في الواقع تخل نهائي عن الإسلام.

و هكذا أبطل العمل بالشريعة الإسلامية في معظم البلاد الإسلامية التي وقعت فريسة للهيمنة الاستعمارية، و زج العمل بها في زاوية ضيقة هي زاوية الأحوال الشخصية و التي يحاول العلمانيون و المتغربون من أبناء الأمة الإسلامية إبطال العمل بها، و قد نجحوا في ذلك في بعض البلدان الإسلامية.

ثانياً: إلغاء الخلافة العثمانية و انحلال الوحدة الإسلامية:

الدولة العثمانية هي آخر دول الإسلام الكبرى التي عرفها العالم في عصوره المتأخرة امتدت على ثلاث قارات: آسيا و أوروبا و أفريقيا، و حمت الإسلام في وقت كان فيه الصليبيون و البرتغاليون يهددونه من جهة الجنوب الشرقي، و الروس من جهة الشمال، كما أن الدولة العثمانية حملت راية الإسلام إلى منطقة البلقان و أزالت الدولة البيزنطية من الوجود حين فتحت عاصمتها القسطنطينية في عا م ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) و التي استعصت على الم سلمين ما يربو على الثمانية قرون، و هكذا جُعلت القسطنطينية عاصمة لدار الإسلام، و حمل سلاطينها العظام الإسلام حتى أبواب فينا عاصمة إمبراطورية الهابسبرج آنذاك، و حملوا أيضاً إلى جنوب روسيا وساحل بحر الأدرياتيك، و بجهودهم عم الإسلام ما يعرف اليوم بدول أوروبا الشرقية، بل إنهم هددوا أوروبا الغربية ذاتها حينما حاصروا فينا مرتين، و فينا كانت هي بوابة أوروبا الغربية من ناحية الشرق، و لو سقطت لهم لانفتح الباب أمام الإسلام فعم معظم أجزاء أوروبا الغربية، و ربما وصل حتى أصقاع اسكتلندا الشمالية كما توقع أحد المستشرقين.

ظلت الدولة العثمانية هي القوة الحارسة للعالم الإسلامي لفترة أربعة قرون كاملة ، فقد حفظت للشمال الأفريقي إسلامه عندما وقفت ضد أطماع الصليبيين الأسبان الذين حاولوا استعماره بعد أن قضوا على الدولة الإسلامية في الأندلس ، كما أن السلاطين العثمانيين جعلوا من البحر الأحمر بحر إسلامياً، و حرموا على السفن النصرانية الملاحة فيه، و ذلك لإطلالته على الأم اكن الإسلامية المقدسة في الحجاز ، كما أنهم حاولوا (مع الدولة المملوكية) صد الخطر البرتغالي عن ذلك البحر عندما بدأ البرتغاليون يبسطون نف وذهم على بعض سواحله في محاو لاتهم الهيمنة على تجارة الشرق (تجارة التوابل) التي كانت في أيدي التجار المسلمين.

و لقد كان لجهود الدولة العثمانية تلك وغيرها من الجهود الفضل الأكبر في حفظ قلب العالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الصليبي الأوروبي لمدة ثلاث قرون، ظلت خلالها دعوة الإسلام تواصل انتشارها في أنحاء العالم و بخاصة في جنوب آسيا و جزر الهند الشرقية و الشرق الأقصى، و يجب أن لا ننسى هنا مواقف و جهود السلطان عبد الحميد الثاني من المطامع الصهيونية في فلسطين، و رفضه السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين رغماً عن إغراءاتهم المالية له في وقت كانت الدولة العثمانية تعاني من ضائقة اقتصادية خانقة.

و مهما قيل عن الدولة العثمانية من جانب بعض الكتاب القوميين العرب، و العلمانيين السائرين في ركاب المفاهيم الغربية من أنها دولة استعمارية أخضعت الشعوب بالقسر والقوة، و كبتت الحريات إلى غير ذلك من المساوئ التي يعددها أولئك المنساقون وراء كتاب الغرب، إلا أن الثابت تاريخياً الآن هو أن تلك الدولة العثمانية ذادت عن حمى الإسلام ، و أسست خدمات جليلة له و للمسلمين على امتداد تاريخها ، و تكفي الإشارة إلى أنه في كنفها تحقق لجزء كبير من العالم ا لإسلامي وحدة إسلامية لم يشهدها في عصوره الحديثة، فقد ظلت المنطقة من العراق شرقاً إلى مراكش غرباً تنعم بالوحدة و الهدوء و الاستقرار، و ظل المسلمون أعزاء في ديارهم تلك، و ظلت الخلافة العثمانية قوة يهابها أعداء الإسلام، و يحسبون لها ألف حساب.

و لقد حاولت أوروبا إيقاف الخطر العثماني و وضع حد للفتوحات العثمانية بعقد تحالفات بين بعض دولها، بل و محاربة العثمانيين مرات عديدة، إذ كانت أوروبا تخشى أن تتكرر أحداث التاريخ فيعود للمسلمين مجدهم و عزهم في ظل الخلافة العثمانية التي تجسدت فيها وحدتهم، فظلت تعمل من أجل القضاء على الخلافة بسبل دبلوماسية أحياناً، و حربية أحياناً أخرى.

و قد أدى هذا الصراع المستمر بين الدولة العثمانية و أعدائها الأوروبيون (إلى جانب عوامل اقتصادية و سياسية داخلية و خارجية) إلى ضعفها و بداية تدهورها، الأمر الذي أدى إلى ظهور ما عرف "بالمسألة الشرقية" و التي كانت تعني ببساطة طرد العثمانيين من ولاياتهم الأوروبية كخطوة أولى في عملية تحجيم الخطر الإسلامي و القضاء قضاء مبرماً على الخلافة العثمانية و التي ما فتئت دول أوروبا تتكالب عليهما و تعمل على إضعافها حتى جعلت منها ما أسمته في النهاية "برجل أوروبا الهريض" و الذي كانت تسعى جاهدة إلى قتله و الاستيلاء على أراضيه كلها.

و يمكن القول بأن الفترة التي أعقبت السلطان عبد الحميد و تولي الاتحاديين للحكم هي الفترة التي تمكن فيها الاستعمار و رجال الحكم العثماني (الاتحاديين) على العمل التدريجي لتصفية الدولة العثمانية، فقام الاتحاديون بإتباع سياسات قومية طورانية باعدت بينهم و بين عناصر الولاء من المسلمين من عرب و ألبان و غيرهم، و حلت عرى الوحدة الإسلامية التي كانت تجمع شتى رعايا الدولة، كما أنهم قاموا بإضعاف الخليفة، فجعلوه رمزاً أشبه بأسير في أيديهم، و كذلك مكنوا للقوى الأوروبية الطامعة في دولتهم، و انساقوا وراء مخططاتها الرامية إلى إزالة الخلافة العثمانية مصدر وحدة المسلمين و قوتهم، و مصدر خوف أوروبا و قلقها.

و كان بداية التآمر على الخلافة يوم أن أعلنت الجمعية الوطنية التركية في عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) قيام الجمهورية في تركيا، و انتخبت مصطفى كمال أول رئيس لها، ففصلت بذلك بين السياسة و الخلافة، و جعلتها رمزاً دينياً لا غير، الأمر الذي مكن مصطفى كمال (بمساندة بعض القيادات التركية العلمانية) نهائياً في ٢ مارس ١٩٢٤م (١٣٤٢هـ)، مقدماً بذلك أعظم هدية للغرب الأوروبي النصراني، و قد أثار ذلك الإلغاء موجة من الاستياء الشديد عمت العالم الإسلامي كله في الهند و مصر و غيرهما، و قد جرت بعض المحاولات لإحياء الخلافة من جديد و لكن الأحوال لم تكن ملائمة لإحيائها.

و يبدوا أن مصطفى كمال عندما ألغى الخلافة كان ينفذ مخططاً غربياً مرسوماً له، نصت عليه اتفاقية لوزان ١٣٤٠هـ (١٩٢٣م) التي فرضت على تركيا شروطاً للصلح معروفة بشروط لوزان الأربع و هي:

١ - قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.
٢ - إلغاء الخلافة الإسلامية.
٣ - إخراج الخليفة العثماني من البلاد و مصادرة أملاكه، و إخراج أنصار الخلافة من المسلمين المتحمسين لها ، و التعهد بإخماد كل حركة موالية للخلافة.
٤ - اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم القائم على الشريعة الإسلامية.

و قد قبل مصطفى كمال هذه الشروط ليس مجبراً و إنما عن اعتقاد تام منه، و نفذ بنودها تنفيذاً حرفياً و بكل إخلاص، فعمل من بعد إلغاء الخلافة على إبعاد تركيا (بإصلاحه المزعوم) عن العالم الإسلامي و عن ماضيها الإسلامي، بل إنه حارب الإسلام ذاته في تركيا ، و حارب المسلمين

الحادبين على دينهم هناك ، فألغى التعليم الديني و حارب و قتل رجاله، و ألغى وزارة المحاكم الشرعية، و غير المناهج ا لتعليمية إلى مناهج مناهضة للدين، و باختصار قام بعمل كل ما يجعل تركيا بلداً علمانياً محضاً بعد أن كانت مقراً و كياناً للخلافة الإسلامية، فكانت تلك إحدى الضربات القاسية التي وجهت للإسلام و التي لا يزال العالم الإسلامي يعاني من آثارها.

و ظلت حكومة مصطفى كمال (غير اسمه لكمال أتاتورك) تنفذ مخططها الرامي إلى محو الإسلام من تركيا كخطوة أولى نحو إلحاقها بالغرب الأوروبي، دولة تابعة له، سائرة في ركابه.

و تمادى بعد ذلك مصطفى كمال في حربه للإسلام : فحدد عدد المساجد و عدد الوعاظ فيها ، و حتى خطبة الجمعة حدد لها موضوعاتها ، كأن تتعرض بالمدح و الإطناب لسياسات الحكومة الزراعية و الاقتصادية و غيرها، ثم ألغى الشريعة الإسلامية و أحل محلها القانون المدني الوضعي، و استبدل التقويم الهجري بالتقويم الميلادي ، و حتى العطلة الرسمية غيرها من يوم الجمعة إلى يوم الأحد، و تدخل في زي الناس و لباسهم، فأمر بلبس القبعة تشبهاً بالأوروبيين بدلاً عن زي الرأس العثماني، و مضى ليستبدل أحرف اللغة العثمانية العربية بالأحرف اللاتينية محاولاً في كل ذلك قطع صلة تركيا بماضيها و تراثها الإسلامي، إلى الحد الذي ألغى فيه الحجاب الإسلامي، و هكذا كانت بداية انقطاع تركيا عن عالمها الإسلامي، و اتجاهها نحو أوروبا و نحو علمانية مطلقة .

أثر غيبة الخلافة :

كان لغياب الخلافة أثر بالغ في واقع الأمة السياسي يمكن حصره فيما يلي:

أولاً: غياب دولة الإسلام الكبرى.

ثانياً: غياب الدولة التي كانت تظل المسلمين و تجمع شملهم، و تدفع عنهم ، وتحمل دينهم إلى أراض جديدة (الفتوحات الإسلامية).

ثالثاً : غياب الدولة التي كانت ترهب عدو الله و عدوهم، إذ أن القوى العالمية كانت تحسب لها ألف حساب، حتى بعد ضعفها و تهورها.

رابعاً : غياب الدولة التي عرف اليهود و تأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى فلسطين إلا بتحطيمها ، و ذلك واضح من تصريح أحد قادتهم حين قال: "إن الأفعى اليهودية لابد أن تمر بالأستانة (اسطنبول) في طريقها إلى فلسطين".

أضف إلى ذلك أنه – و كما أسلفنا – انفتح الباب أمام حركة "التغريب"، و أمام إشاعة التقاليد والثقافة الغربية بغرض تحطيم الإسلام و قيمه، و التمكين للاستعمار في شتى صوره، و بدأت الحركات الإسلامية الإصلاحية داخل العالم الإسلامي تتعرض لضغوط و تحديات جديدة لا قبل لها بمواجهتها، كلها ترمي إلى إضعافها و الفت في عضدها ، ثم القضاء عليها كلية، ذلك أن الغرب الصليبي ما كان ي سمح مرة أخرى بقيام دولة الإسلام، بل كان يخطط دائماً و بكل السبل لمحاربة كل خطوة قد تؤدي على ذلك، سواء كانت تلك الخطوة في صورة دعوات إلى تضامن إسلامي أو جامعة إسلامية أو حتى دعوة تدعو إلى تطبيق جدي للشريعة الإسلامية و قيام دولة إسلامية.

و بسقوط الخلافة واجه الغرب الصليبي الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير : فنشط الاستشراق و التنصير، و بدأت المحاولات الجادة لإبعاد المسلمين عن دينهم و قيمه، و بدأت الحركات و الدعوات الرامية إلى التشكيك في مقدرة ذلك الدين على التكيف مع ظروف الحياة العصرية و غيرها من الدعوات الباطلة التي كانت تهدف أساساً إلى هز ثقة المسلمين في أنفسهم و دينهم وهويتهم الحضارية الإسلامية حتى تسهل السيطرة عليهم فكرياً، و سياسياً و اقتصادياً، فيتمكن الاستعمار من الهيمنة على بلادهم و استلاب خيراتها، و إبقائهم شتاتاً (ضعيفاً ممزقاً) لا حول و لا قوة لهم، أقناناً و عبيداً له، لا يجرؤون – حتى على التفكير – من الانفكاك من قبضته.

و انحل أمر الجماعة الإسلامية بانهيار الخلافة التي هي من أعظم واجبات الدين ، وأصابتها الخطوب و المصائب، فقد عاش المسلمون في ظل الخلافة ثلاثة عشر قرناً و نصف، و رأوا فيها حامياً لعقيدتهم، و رمزاً لوحدتهم، و ظل الخليفة في نظر المسلمين قائماً برعاية شئونهم و مسئولاً عن الدفاع عن ثغورهم، و حامياً لأحكام الدين و منفذاً لشرائعه، و لذلك جاء إلغاء الخلافة العثمانية حدثاً زلزل القلوب و هز وجدان المسلمين، و كان له آثار مفجعة في حياة المسلمين، منها غياب الدولة التي حمتهم و ربطت برباط الإسلام بين الترك و العرب، ليقفوا في وجه مطامع الصهيونية التي كانت تخطط لاحتلال الأرض المقدسة فلسطين.

و من آثار سقوط الخلافة العثمانية – كما أسلفنا – إلحاق تركيا رسمياً بدول المعسكر الأوروبي الغربي و قطع كل صلة لها بماضيها التاريخي و عالمها الإسلامي.

و منها قيام دويلات مدنية جديد ة ذات دساتير وضعية و علمانية في شتى أنحاء العالم الإسلامي تقوم ع لى أساس قومي ، و تسعى إلى تنظيم روابطها مع جاراتها على أساس قومي متخلية تماماً عن رابطها الإسلامي.

و منها تسلط المستعمرين المتربصين على ما تبقى من أملاك الخلافة العثمانية و اقتسامها فيما بينهم، فاحتل الفرنسيون سوريا و لبنان، كما احتل البريطانيون العراق و فلسطين و الأردن، هذا في عالم العرب، ناهيك عن السيطرة الاستعمارية على أجزاء واسعة أخرى من عالم الإسلام.

و لعل المأساة التي عانى منها العالم الإسلامي و لا يزال يعاني منها حتى الآن (و كانت ثمرة مرة لسقوطه الخلافة العثمانية) هي مأساة فلسطين، و التي لم تستطع الصهيونية العالمية استلابها إلا بعد التآمر على السلطان العثماني و العمل على إسقاط الخلافة و الخلاص من الرابطة الإسلامية، فانفك عقد الأمة الإسلامية، و وقعت فريسة للغزو الاستعماري السياسي و العسكري و الاقتصادي و الفكري، و الذي كان يخشى اتحاد المسلمين من جديد تحت راية الخلافة، أو رايات التضامن الإسلامي، أو رايات الصحوة الإسلامية التي كانت تنادي بإعادة الإسلام من جديد في حياة الأمة الإسلامية، و من ثم عمد الاستعمار على إبقاء المسلمين وحدات متفككة متنازعة لا يجمعها رابط، و لا تجمعها هوية إسلامية مشتركة.

و لولا هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى لما تحقق للدول الأوروبية المتحالفة "دول الحلفاء" مآربها في تقسيمها الأملاك العثمانية في أوروبا و أسيا فيما بينها، ثم فرض هيمنتها الاستعمارية عليها ، و من بعد ذلك استعمار بلاد أخرى من بلدان العالم الإسلامي، و كان ذلك الاستعمار هو الطامة الكبرى التي نزلت ببلاد المسلمين، فقد كان همه الأول هو حرب الإسلام و أهله في دينهم و فكرهم و هويتهم بغرض القضاء على الإسلام قضاءاً تاماً ، فهو في نظر المستعمرين العدو الأو ل الذي لو عاد من جديد فاستعاد قوته و حيويته فلن تقوم للاستعمار على إقصائه عن الساحة إقصاءً تاماً، و أن يجتهد في إضعاف المسلمين بشتى الوسائل فيبث بينهم الأفكار الهدامة، و الدعوات التي تدعى الإسلام وهي في الواقع تعمل على هدمه من الداخل، و ينشر بينهم فكره العلماني، فيحاول أنصاره و أعوانه من المستشرقين و المنصرين و المتغربين التشكيك في الإسلام و فكره في محاولة لإضعاف العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين ، فتهتز ثقتهم في دينهم و ذاتيتهم، فيسقطون فريسة وغنيمة سهلة للسيطرة الاستعمارية.

وسائل الاستعمار في إضعاف العالم الإسلامي:

عاشت غالبية الدول الإسلامية فترات متفاوتة في القصر و الطول تحت هيمنة الاستعمار الغربي الذي استغل ثرواتها و سخرها لخدمة مصالحة الاقتصادية و السياسة، بل ربطها اقتصادياً باقتصاده، و على الرغم من أن هذه المرحلة – مرحلة الاستعمار التقليدي – قد انتهت، إلا أن العالم الإسلامي يعيش اليوم مرحلة الاستعمار الحديث ، و هو استعمار أخطر و أدهى من الاستعمار الأول، لأنه يريد تحطيم عقيدة و هوية الأمة الإسلامية بكافة الوسائل و السبل، و سنتناول في هذا الفصل أبرز تلك الوسائل:

المخطط السياسي والاقتصادي:

يرمي إلى السيطرة على الشعوب الإسلامية عن طريق الهيمنة السياسية و الاقتصادية المباشرة و غير المباشرة، فالاستعمار الحديث مثلاً يريد فرض سيطرته –عن بعد – على اقتصاد الدول الإسلامية بإبقائها الحديث فقيرة معتمدة عليه دائما فيسهل استعبادها، و هو يرمي أيضا إلى تعزيز سيطرته عن طر يق إيقاع الفتنة و الشقاق بين دول العالم الإسلامي باصطناع عملاء له من المسلمين لتنفيذ أغراضه ، مثل زرع التمرد على السلطة، و بإحداث الفتنة و البلبلة في صفوف المسلمين و على العادات و التقاليد، و أخيرا – و هذا هو الأهم – بربط دار الإسلام اقتصاديا بالدول الاستعمارية عن طريق التكتلات الاقتصادية و احتكار المال، و إدخال البلاد في نطاق عملة البلد المستعمر، ثم بتقديم المعونات الاقتصادية المشروطة للبلاد لتبقي مكبلة دائما تحت سيطرته.

أما سياسياً فقد أعطى المستعمرون للبلاد التي استعمروها بعد أن خرجوا منها ما سمي "بالاستقلال المميز"، و ذلك أنهم سلموا الحكم لفئات تعلمت في مدارس إرساليته و تشربت حضارته و مبادئها الغربية المادية، فنشأت غريبة عن وسطها الإسلامي، و بعيدة عن إرثها الحضاري الإسلامي، علمانيين في أفكارهم ، غربيين في توجهاتهم، محاربين لعقيدة أمتهم الإسلامية بشتى السبل ، و عندما سلم المستعمرون أولئك مراكز القيادة و التوجيه، لم تتغير الحال كثيراً بعد هذا الاستقلال المزيف، بل ظلت البلاد تعاني آثار الغزو الفكري، و التسلط السياسي و الاقتصادي، و تتخبط في مسيرتها في معظم الأقطار الإسلامية، بعيداً عن هدي دينها و شريعتها السمحة.

و وقع الصراع في كثير من البلدان الإسلامية نتيجة التبعية السياسية و المحاور المتنافرة التي ترتبط بها هذه البلاد، و نتيجة للمشاكل التي زرعها المستعمرون في كل بلد من البلاد التي سيطروا عليها ، فهناك مشاكل الحدود المصطنعة و التي صارت مشاكل مزمنة بين الأقطار الإ سلامية المتجاورة، و حالت بين التعاون فيما بين تلك الأقطار ، و الأمثلة لذلك كثيرة: الصومال مع جيرانه، العراق و إيران، سوريا و تركيا، الهند و باكستان، بنغلاديش و الهند، و كشمير، اليمن و عمان، و غيرها من الأمثلة.

كما كان لهذه الأقطار أن تكتوي بنار الصراع العالمي لحساب غيرها من الدول الكبرى التي تتسابق إلى الثروات و المصالح في العالم الإسلامي، و تعمل على أن يبقى هذا العالم مسلوب الإدارة، مستنزف الموارد موزع الولاءات، بعيداً عن عقيدته الصحيحة و مثله القويمة التي ترسم له طريق الخلاص من كل ألوان التبعية، و تدفعه نحو بناء الأمة القوية التي تحمي استقلالها و ثرواتها من كل طامع أثيم.

و كما اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي و مزقوا أوصاله، فقد شجعوا الأحزاب القومية و الطائفية و الإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها و ولائها للأجنبي خدمة لمصالحة ، كما أبعدوا مفهوم الجهاد و حاربوه بكل الوسائل، و جاءت الولايات المتحدة الأمريكية لترث

الاستعمار، فمارست كل الممارسات الاستعمارية السابقة و لكن عن بعد، بذكاء و أساليب حديثة، كالدعوة إلى "العولمة" و بسط سلطان المؤسسات المالية التي ترعاها و تهيمن عليها، كالبنك الدولي و مؤسسة النقد العالمية و ما شاكلها من مؤسسات عالمية أمريكية، و كانت أمريكا – المستعمر الخفي الجديد – كما كانت الدول الاستعمارية القديمة تدرك أن الخطر الأعظم عليها و على مخططاتها هي الوحدة الإسلامية، و من ثم كان همها الأول أن تعمل لمنع تلك الوحدة أو التضامن الإسلامي، و تشجيع كل ما يساعد على ذلك المنع ، ففرزت ما من شأنه ترسيخ التبعية السياسية في مجال الحكم و الاقتصاد و الفكر.

المخطط الفكري – الغزو الثقافي:

يرتكز هذا المخطط على نشر الأفكار التالية بين المسلمين في محاولة لزرع الشك في دينهم الإسلامي، ثم في النهاية التخلي عنه كنظام متكامل للحياة، و هذه الأفكار هي:

١- الفكر العلماني.

٢- حركة التنصير.

٣- حركة الاستشراق.

٤- بث الفكر السياسي الغربي: كالفكرة القومية و الاشتراكية و الشيوعية، وما شابه ذلك من أفكار.

و هدف الاستعمار الغربي من وراء كل هذه ا لمخططات سياسية كانت أم اقتصادية أو فكرية هو تأكيد قبضته و هيمنته على أرض المسلمين، و على عقولهم و قلوبهم، و محاولة إضعاف دينهم و فكرهم الإسلامي و تشكيكهم فيه، حتى يبقى العالم الإسلامي خلواً من أي توجيه أو فكر أصيل، و ليبقى الباب مفتوحاً أمام الفكر الغربي العلماني، فيتسنى للمستعمرين السيطرة على ذلك العالم و أهله.

و هذا الأسلوب هو ما عرف بالغزو الفكري، الذي يعتمد الوسائل غير العسكرية الغير مباشرة لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، و صرف المسلمين عن التمسك بدينهم، و سلاح هذا الغزو هو الفكرة و الحيلة و الرأي و النظريات و الشبهات، ثم حرب شاملة ممتدة إلى شعب حياة المسلمين كلها.

و قد أدرك الاستعمار أن هزيمة المسلمين لن تكون بالسلاح و لكن تكون بحربهم في عقيدتهم التي هي مكمن القوة فيهم، و بإحداث فراغ فكري بين أبناء الأمة الإسلامية، و باقتلاع الأمة ذاتها من جذورها الحضارية و ذلك عن طريق إظهار تهافت و عدم جدوى كل ما تملكه من مقومات أمام متطلبات عصر الذرة و غزو الفضاء، و هذا الأسلوب هو ما يعرف اليوم بالغزو الثقافي أو الغزو الفكري، و هو أكثر خطراً من الغزو العسكري، إذ أنه لا يعتمد على استخدام القوة و المواجهة المسلحة، و لكنه يلجأ إلى أساليب أخرى ماكرة و خادعة و ناعمة، و لكنها شديد الأثر و الخطر، إذ أنها غزو للعقول و القلوب، يعمل في هدوء تام غالباً عن طريق بعض أبناء الأمة ممن تربوا في معاهدة و جامعاته الاستعمارية، فأصبحوا خداماً لفكره، و أداة طيعة في يده يوجهها ضد أعدائه من دعاة الفكر الإسلامي الأصيل ، محدثاً بذلك صراعاً داخلياً بين أبناء الأمة الواحدة، و فوضى فكرية يستطيع من خلالها زرع بذور أفكاره الهدامة الرامية إلى صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم، بل و القضاء على ذاتيتهم الإسلامية المتميزة و التي يرى في تمسك المسلمين بها خطراً داهماً عليه.

فالقائمون على الغزو الثقافي – من مستعمرين و أتباعهم – يهدفون إلى ضرب الإسلام من الداخل عن طريق إضعاف فاعليته و عزله عن التأثير في حياة المسلمين، فهم يريدون تحييد الإسلام بتشويه عقائده و مثله، و يريدون كذلك إظهار أتباعه في أبشع صور التخلف و الهمجية و التطرف، و قد تعددت أساليب ذلك الغزو الثقافي، نسوق من أبرزها ما يلي:

١- العلمانية:

ماذا تعني كلمة "علمانية"؟ قد يظن البعض أنها كلمة مشتقة من "العلم" و أنها منسوبة إلى العلم و ليس هذا بصحيح، فلا صلة للعلمانية بالعلم، و هي كلمة نقلت من الغرب الأوروبي (موطن نشأتها) إلى البلاد الإسلامية و العربية على الأخص، و العلمانية هي الترجمة للكلمة الإنجليزية، و التي يشرحها القاموس الإنجليزي بقوله: العلمانية هي النظرية التي تقول إن الأخلاق و التعليم يجب ألا يكونا مبنيين على أسس دينية، أما دائرة المعارف البريطانية فتقول عن "العلمانية": إنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها، و ذلك لأنه كان لدى الناس في العصور الأوروبية الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا و التأمل في الآخرة ، فجاءت الدعوة إلى "العلمانية" لمقاومة هذا الاتجاه، و ظلت تلك الدعوة تتطور باستمرار خلال التاريخ الأوروبي الحديث باعتبارها حركة مضادة للدين، و مضادة للنصرانية، و قد جعلت دائرة المعارف البريطانية في حديثها عن الإلحاد الفلسفة العلمانية نوعاً من الإلحاد سمته الإلحاد العلمي.

و العلمانية تعني في لغة الغربيين و عرفهم "اللادينية"، و هي حركة اجتماعية ذات فلسفة معينة هدفها إبعاد الدين عن الحياة كلها : الحياة الاجتماعية و الأخلاقية و التعليمية و السياسية، و الشائع بين الناس أنها تعني فصل الدين عن الدولة و هذا خطأ، فهي (كما رأينا) تعني إبعاد الدين عن الحياة كلها، و العلماني هو الشخص الذي لا يطبق الدين في السياسة و لا في شئون الحياة كافة.

و قد كان ظهور العلمانية في أوروبا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) أو قبل ذلك بقليل، ابتداء من ظهور "الهرطقة" و الخروج على سلطان الكنيسة و رجال الدين النصراني، "فالعلمانية" إذاً نبتت خارج العالم الإسلامي و تسربت إليه من خلال مناهج التعليم، و من خلال المبعوثين الذاهبين من بلدان العالم الإسلامي إلى معاهد أوروبا لتلقي العلم فيها، و كذلك من خلال ضلالات المستشرقين، و تضليل سبل الإعلام الغربي.

و قد حرص الاستعمار على نشر الفكر العلماني بين أبناء المسلمين عن طريق فرض نظامه التربوي الغريب عن المعتقدات و القيم الإسلامية، و كذلك عن طريق حصر التعليم الديني و عزله عن التعليم العام ، و عن محاصرة و تمييع المناهج الإسلامية باسم التطوير و التحديث، و هو إذ يفعل ذلك إنما يرمي إلى خلق أجيال من المتعلمين تجهل تر اثها الإسلامي، فتتنكر لشخصيتها و ذاتيتها الإسلامية، و ترى أن الحضارة الأوروبية و العلم الأوروبي هو أساس الرقي و التطور، و أن كل شيء دون ذلك عتيق قديم و لا يساير التحضر و التطور، و هكذا استطاع الاستعمار ببثه لمثل هذا الفكر العلم اني أن يبعد بعض الفئات المتعل مة - و التي كانت قد برز ت إلى مواقع الصدارة في بلدانها - عن دينها و مثلها و قيمها و حضارتها الإسلامية، و قد أصبح هؤلاء غرباء عن أمتهم الإسلامية، فتبنوا دعوات فكرية هدامة و موالية للغرب سنذكرها لاحقا.

المحاضرة السابعة: وسائل الاستعمار في إضعاف العالم الإسلامي

أشكال العلمانية:

أ - التشبث بالحضارة الغربية:

التشبث بالحضارة الغربية و الإعجاب بها، و الأخذ بها دون وعي، و قد تبنى هذا الاتجاه جماعة من الكتاب و الأدباء المسلمين من الذين تولوا المراكز القيادية بعد زوال الخلافة العثمانية ، و الأمثلة على ذلك كثيرة لعل من أو ضحها كتابات طه حسين التي يبدي فيها إعجابه الشديد بالحضارة الغربية، و يدعو إلى الأخذ بتلك الحضارة و السير في ركابها إن أريد للأمة أن تتقدم و تتطور، و كتابه "مستقبل الثقافة في مصر " مليء بمثل هذه الآراء . و هناك كتابات سلامة موسى و قاسم أمين و غيرهما مما تتبنى و تدعو إلى آراء شبيهة بآراء طه حسين المتحيزة إلى الحضارة الغربية، بل و المفتونة بها و الداعية بالأخذ بأسبابها كلها.

و زاد من تأثير هذا الاتجاه الموالي للغرب النصراني و لحضارته تقاطر البعثات إلى الدول الأوروبية من أبناء المسلمين الراغبين في استكمال تعليمهم، فقد عاد كثير منهم و قد تطبعوا بطباع الغرب و تأثروا بفلسفته و فكره، و انساقوا وراء التيار الغربي فأصبحوا بذلك رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك و التربية و الفكر، و انساقوا وراء التيار بلا فهم أو وعي، و اتخذهم الاستعمار أداة طيعة في يده يستغلها لإحداث الانقلاب الجذري في حياة المسلمين، و لإحداث الفجوة و الفرقة بين جمهور الأمة وقيادتها "العلمانية" المنقطعة عنها و عن تراثها الإسلامي.

ب - بث الدعوات و النزعات القومية و الإقليمية و القبلية:

و كلها دعوات أراد بها الاستعمار محاربة الإسلام و تجاهل ماضي الأمة الإسلامي، ذلك أن الإسلام حارب مثل هذه الدعوات و أقام أمته على قواعد و أسس إسلامية معلومة، و المستعمرون يريدون من نشرهم لتلك النزعات الضيقة أن يجعلوا المسلم يفكر في وطنه قبل عقيدته، و أن يربطه بالماضي التاريخي الغامض البعيد السابق على الماضي الإسلامي الذي يجد فيه المسلم أسس قوته و مجده و دعائم نهضته، فالاستعمار لا يريد للمسلمين ذلك، و إنما يريد إبعادهم عن ذلك الماضي بالدعوة إلى إحياء الحضارات القديمة حتى تحل محل الأخوة الإسلامية . و من ثم أراد الغرب تلفيق دعوة وهمية لكل قطر إسلامي، فمصر أرادوا لها "الفرعونية" التي تقوم على إحياء ما قبل الإسلام من لغة و أدب و تراث فرعوني، و الاعتزاز بتاريخ مصر القديم. و قد أطلت هذه الدعوة برأسها منذ غزو نابليون لمصر في عام ١٧٩٩م و استصحابه لبعثة علمية للتنقيب عن آثار الفراعنة، و تعميق مثل هذه الدعوة يقود إلى "الانطواء على الذات" و معارضة كل دعوة ترمي إلى تقرير الوحدة الإسلامية (أو حتى العربية) و التمسك بالعصبية الفرعونية التي يرى أنصارها أن المسلمين العرب غزاة دخلاء على مصر كاليونان و الرومان سواء بسواء.

كما بعثوا "الفارسية" في إيران و سوغوا لها ضرورة إحياء التراث الفارسي القديم و التمسك و الاعتزاز به، و عمدوا إلى إثارة "الفينيقية" في لبنان، و "الآشورية" و "البابلية" في العراق، و "الكنعانية" في فلسطين، و "البربرية" في المغرب، وهكذا... و الهدف من وراء إثارة هذه النعرات الإقليمية الضيقة هو سلخ أجزاء العالم الإسلامي بعضها عن بعض، و عزلها عن بعضها و التفريق بينها، و الحيلولة دون وحدتها، و العمل على إرغام كل جزء منها على التخلي عن تاريخه و ماضيه الإسلامي و لغته العربية، و فصله عن جسم الأمة تمهيداً للانقضاض عليه واستعباده.

ت - قطع صلة المسلمين بالقرآن الكريم و محاربة اللغة العربية:

إن هدف المستعمرين هو محاربة اللغة العربية كونها لغة القرآن الكريم، و بها تمت صياغة التراث الإسلامي عبر السنين، و قد صاحبت انتشار الدين الإسلامي، فحلت أينما حل، و بها كتب المسلمون على اختلاف لغاتهم و أجناسهم و ديارهم، و هي عنصر وحدة بين المسلمين، و لذا كان من الطبيعي أن يحاربها المستعمرون، و أن يقفوا في طريق انتشارها بالتمكين للغاتهم من انجليزية و فرنسية و هولندية، بحيث لا تتمكن اللغة العربية من التوسع بين مسلمي العالم، و اتبعوا في ذلك عدة أساليب منها:

١ - نقل كثير من لغات المسلمين التي كانت تكتب بالأحرف العربية من ذلك الحرف إ لى الحرف اللاتيني، فقد نقل مصطفى كمال أتاتورك في مؤتمر باكو عام ١٩٢٦م أحرف اللغة العثمانية العربية إلى الأحرف اللاتينية، و حدث نفس الشيء بالنسبة للغة الإندونيسية، و لغة الهوسا في نيجيريا، و اللغة السواحلية في بلدان شرق أفريقيا.

٢ - تشجيع اللغات المحلية و اللهجات في معظم البلاد الإسلامية غير العربية لتصبح هي اللغات القومية، مثل بعض اللغات المحلية و اللهجات في القارة الأفريقية، و مثل السنسكريتية (الهندية القديمة)، و البنغالية في شبه القارة الهندية، و غيرها.

٣ - توسيع نطاق لغة المستعمر و جعلها اللغة الرسمية، كما فعل فـي الهند الإسلامية و بنغلاديش و باكستان و في بلدان غرب أفريقيا و وسطها و شرقها، و لعل هذا الأمر أوضح ما يكون في المستعمرات الفرنسية، و البريطانية، فلا زال أهلها من مسلمين و غيرهم حتى الآن يتحدثون و يتخاطبون بلغة مستعمريهم القدامى، خاصة اللغة الفرنسية.

٤ - عندما وجد الغربيون أن القضاء على اللغة العربية في حكم المستحيل عملوا على التقليل من شأنها، فقالوا إنها لا تلبي حاجات العصر، و أنها استنفدت أغراضها، ومن ثم عمدوا إلى الدعوة لاستخدام اللغة العامية لغةً للتأليف و الكتابة، كما فعلوا في الجزائر و مصر و بلاد الشام و العراق و تونس و المغرب، كما أن السياسة التعليمية تجاهلت اللغة العربية و لم تهتم بها و لا بمعلميها بالقدرة الذي أولته لغاتها و معلميها من اهتمام و تشجيع، و الغرض من محاربة اللغة العربية بهذه الصورة و بكل تلك القوة هو زرع الفرقة بين المسلمين من عرب و غيرهم بتفريقهم في اللغة و الدين و الثقافة، و بعدم السماح للعربية من الانتشار بين المسلمين و ما بين تراثهم الماضي، لأنه هو الذي يربطهم و يوحد بينهم، و هو الذي يعطيهم الثقة في أنفسهم و يعزز من صمودهم أمام مخططات الاستعمار و تحدياته.

ث - توجيه التعليم وجهة إسلامية:

و ذلك عن اقتباس الأنظمة و المناهج الغربية و إحلالها محل مناهج التعليم الإسلامية التي وجدها الاستعمار في مستعمراته الإسلامية، و الهدف من كل ذلك هو إضعاف العالم الإسلامي بتذويب هويته الإسلامية في الهوية الاستعمارية ، و كذلك توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون مصالحه ويعززون من سيطرته الاستعمارية فـي بلدان المسلمين التي استعمروها ، و أخذ يحارب الإسلام فيها ، و من ثم ما فتئ المستعمرون يحاولون القضاء على ثقافة الإسلام و إرثه بالطعن فيهما، و أثارت الشكوك و الشبهات حولهما عن طريق إحلال الفكر العلماني محل الفكر الإسلامي في مناهج التعليم التي أُخرج من برامجها الدين و تاريخ الإسلام و إرثه الثقافي و اللغوي، في محاولة لطمس هوية الأمة، و لقطع صلتها بتراثها و ماضيها الإسلامي.

و لا عجب أن خلت مناهج الجامعات أيضاً من علوم الإسلام و امتلأت بمفردات المناهج اللا دينية كعلوم الفلسفات المادية و الإلحادية و النظريات الغربية الرافضة للدين و علومه، و كذلك التركيز و الاهتمام بالتراث و الحضارات الوثنية و الحضارات السابقة للإسلام، حدث ذلك في مصر و تركيا و إندونيسيا و غيرها، و الغرض من وراء كل ذلك هو محاولة القضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي، و لا غرو إذاً أن أصبحت برامج التعليم علمانية في كل مراحله، و تعدى الأمر المناهج إلى أسلوب التربية و فلسفة السلوك، فطبق الاختلاط بين الذكور و الإناث في معظم جامعات العالم الإسلامي، و أُدخل في روع الطلاب (عن طريق المناهج و غيرها) أن الحضارة الغربية هي خلاصة الحضارات، و أن الأمم لا تتقدم إلا باحتذائها و الأخذ بها.

ج - طمس هوية الأمة الفكرية:

كان من أخطر الوسائل العصرية التي اعتمد عليها أعداء الإسلام "الصحافة" باعتبارها أكثر انتشاراً و أبعد تأثيراً، فجاءت الصحف المحلية و الأجنبية تبث في أوساط المسلمين قيماً غربية نصرانية جديدة، تحفل بضروب الأفكار المخربة، و أحاديث الجنس الفاضحة، و الصور العارية، و القصص الرخيصة، و البحوث و المقالات التي تتناول كثيراً من مقدسات المسلمين بالنقد و التجريح، و تتوغل على المبادئ الإسلامية.

فظهرت مؤلفات مسلمين و غير مسلمين تتحدث عن الإلحاد و عن " الدارونية" و الأصل الحيواني للإنسان، بل إن بعضهم مثل "الشيخ" علي عبد الرزاق طرح قضية العلمانية لأول مرة في صميم الفكر الإسلامي في كتابه : "الإسلام و أصول الحكم"، و خطورة هذا الكتاب أنه حاول الاستناد و لأول مرة على الفكر التاريخي الإسلامي لتبرير العلمانية ضمن إطار الإيمان الديني، و ليس من منطلق العلمانية الخالصة المنافية للدين.

كما أصدر طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) الذي حاول فيه إبداء الشك في الروايات الجاهلية، و تعدى ذلك إلى محاولة نقد الروايات و النصوص الدينية بما في ذلك آيات القرآن الكريم، و في هذا تكمن خطورة هذا الكتاب، و ليس في مجرد تشكيكه بمصادر الشعر الجاهلي، و هكذا استمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في كتابات بعض الأدباء العرب من أمثال إسماعيل مظهر ، و لطفي السيد، و منصور فهمي، و أمين الخولي و غيرهم من اللثقاب تحت أقنعة البحث العلمي و الموضوعية العلمية.

و كان من نتيجة شيوع مثل هذه الآراء في الفكر و الأدب و الصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية و لاسيما الشيوعية، و تغذيتها بروح الشك العام في كل شيء، سواء كان ذلك دينا أو غيره، حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة للشكوك، فانضم كثير منهم إلى المنظمات اليسارية أو القومية و غيرها من الأحزاب اللا دينية، و أطلت الأفكار المنحرفة في حرية تامة، فدخل الفكر القومي و الوطني و العلماني و المادي و الاشتراكي و الوجودي إلى صفوف شباب المسلمين المتعلم باسم العلم و حرية البحث و الإصلاح و الثورة على كل قديم، و كان كل ذلك على حساب الرابطة الإسلامية، فمبدأ القومية مثلا يستهدف بث العنصرية و التي تستهدف بدورها خلق الصدع و نشر الفرقة بين المسلمين من العرب و الفرس و الترك و الهنود، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ و الولاء القومي، و القضاء على الذاتية الإسلامية، و كذلك الحال مع الشيوعية و الماسونية و الدعوات التوفيقية الداعية إلى التوفيق بين الأديان و بخاصة بين الإسلام و النصرانية. و هكذا كان هدف المستعمرين ينحصر في الآتي:

١. إنشاء جيل من أبناء المسلمين يتبنى الثقافة الغربية ليسهل عليهم الاتصال بهم و التفاهم معه، و الاعتماد عليه لتنفيذ مخططاتهم كلها علمانية و غيرها.
٢. أن تخلو الأجيال المقبلة من الإسلام، و من الثقافة الإسلامية، و من الرغبةبالتمسك بالإسلام و الدفاع عنه.

و من ثم عمد المستعمرون إلى تغيير قيم الأمة و مثلها، أي تغيير عقيدتها و ثقافتها و أخلاقها، بمعنى آخر إبعاد المسلمين عن دينهم باسم المدنية و التقدم و التطور، و هو ما عرف بحركة "التغريب"، و هي حركة بدأها المستعمرون و مؤسساتهم الاستشراقية و التنصيرية، ثم حمل مشعلها من بعدهم جماعة من المسلمين "المتغربين" من تلاميذ المستشرقين و الطلاب المبتعثين إلى الخارج ، و يساندهم في تنفيذ هذا المخطط بعض حكام المسلمين، و تتمثل خطة هذه الحركة (حركة التغريب) في إحداث تغيير جذري في العادات و التقاليد و الأخلاق تحت قناع التطور و مسايرة روح العصر مستخدمة في ذلك وسائل الإعلام المختلفة، و من مظاهر الحركة الواضحة اتخاذ الزي الأوربي، و التطبع بطباع أهل الغرب و محاكاتهم في القشور المظهرية لحضارتهم، و من نتائجها التبعية السياسية و الفكرية و الاقتصادية، و التنكر للإسلام و مبادئه و تراثه، و العيش غرباء في المحيط الإسلامي، و تخريب عقول المسلمين حتى يتسنى للاستعمار السيطرة الكاملة على العالم الإسلامي و على أهله.

ح - بث الدعوات الدينية الهدامة وتشجيعها:

و هذه إحدى وسائل الاستعمار في تنفيذ مخططه الفكري الرامي إلى إضعاف المسلمين و تشكيكهم في إسلامهم، و هذه الوسيلة إلى جانب ما قام به المتنصرون و المستشرقين من تشويه و إضعاف للإسلام في نفوس المسلمين، هما وسيلتان مكملتان لبعضها بعضاً، فالصلة بينهما وثيقة، و هدفها واحد و هو حرب الإسلام.

و قد عمد الاستعمار إلى إيجاد طبقة من أبناء المسلمين و تشجيعهم على تبني مذاهب إسلامية هدامة تخدم أهدافه، بغرض تركيز سلطته و ولايته على المسلمين، و بعبارة أخرى عدم تحدي المستعمر في مباشرة سلطته على المسلمين ، أو معارضة إدخال مخططاته الفكرية و نشرها بينهم، و لعل من أبرز المسلمين الذين تبناهم المستعمر و شجعهم على بث فكرهم الديني الهدام هو **السير سيد أحمد خان** ، الذي تبنى دعوة باطلة باسم الإصلاح و التقدمية.

و يمثل هذا الاتجاه المعادي للإسلام الدعوة " القاديانية" و "الأحمدية" في الهند أيضاً، و هناك دعوات أخرى مماثلة مثل "البابية" و "البهائية"، و كلها دعوات باطلة قامت بتشجيع من الاستعمار البريطاني، غرضها معاداة الإسلام تحت شعار الإ صلاح، خدمةً للاستعمار و ذلك عن طريق تنفيذ مخططه الرامي إلى أضعاف المسلمين بحربهم في عقيدتهم، و فيما يلي نتناول أبرز ملامح تلك الدعوات الباطلة:

<u>أولاً: السيد أحمد خان:</u>

عندما استولى الإنجليز على الهند حاربوا الإسلام هناك بشتى الوسائل و منها تبنيهم و تشجيعهم لأحمد خان، الذي بدأ أول ما بدأ بالمناداة بأفكار غربية مثل قوله بمذهب "الطبيعيين الدهريين" القائل إنه لا وجود في هذا الكون إلا للطبيعة، و أنه ليس للكون إله حكيم، و أن كل الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الواحد.

و قد استطاع أحمد خان أن يغري بضلالاته هذه بعضاً من أبناء الأغنياء الطائشين و السائرين في ركاب الاستعمار، المعجبين بفكره و حضارته، و لم يكن غريباً أن للحكام البريطانيين غرضاً من وراء مشربه و ضلاله هذا، إذ رأوا فيه خير وسيلة لإفساد نفوس المسلمين، فساندوه و شجعوه، و ساعدوه على بناء مدرسة في "عليكرة" سموها مدرسة "المحمديين" لتكون مصيدة لأبناء المسلمين فيدخلوها، و فيها يتوبون على أفكار أحمد خان الضالة.

و مضى هذا الرجل إلى أبعد من ذلك حيث كتب تفسيراً للقرآن الكريم ، حرف فيه ما أراد أن يحرف ، و قال فيه بآرائه الفاسدة، كما أنه جهز بالدعوة لخلع الأديان بدعوى أن أوروبا لم تنهض إلا بعد أن رفضت الدين و تخلت عنه.

و يتضح من كل ما ذكرنا أن دعوته دعوة إلحادية رغم إدعائه أنه يدافع عن الإسلام و المسلمين، و أنه يريد أن يجد للمسلم المعاصر طريقاً يوفق فيه بين إسلامه و بين تقبله للحياة العصرية التي قامت على أثر نهضة العلم الطبيعي، و هو كذلك يدعو إلى التعاون بين المسلمين و الغربيين فيما أسماه "إنسانية الأديان"، و هي دعوة تشبه الفكرة المسماة اليوم "بالعالمية"، و كانت من قبل تعرف باسم "الماسونية "، و فيها تنتقي الفوارق بين الأوطان و القوميات و الأديان و المذاهب.

و كان للسيد أحمد خان نفوذ سياسي تربوي، فهو صحفي و مؤلف و مدرس، و قد أثرت حركته هذه فيما بعد في ظهور فرقة ضالة أخرى هي "القاديانية".

ثانياً: القاديانية:

هي دعوة منسوبة إلى **ميرزا غلام أحمد القادياني** الذي ولد حوالي سنة ١٨٣٩م في مدينة "قاديان" إحدى مدن مقاطعة بنجاب بالهند في بيت من البيوتات التي اشتهرت بخدمة سياسة الإنجليز الاستعمارية و تحقيق مصالحهم، فوالده كان من أخلص أصدقاء الاحتلال الإنجليزي الذي فرض سيطرته تلك الأيام على شبه القارة الهندية، و يقول الميرزا غلام أحمد نفسه: **"لم تبخل عائلتي و لم تضن، و لن تبخل و لن تضن بدماء أبنائها في خدمة مصالح الحكومة الإنجليزية أبداً"**، و من ثم كانت حركة الميرزا غلام أحمد موضع ثقة الحكومة البريطانية، و قد خدموها في الهند و خارج الهند.

و قد ظهر الميرزا غلام أحمد في سنة ١٨٨٠م كأحد الدعاة إلى الإسلام و المناظرين لخصومه من غير المسلمين، و في ديسمبر سنة ١٨٨٨م نادى في المسلمين و دعاهم إلى مبايعته، و كان يدعي حينذاك أنه **"مجدد العصر، و مأموراً من الله"**، و يظهر للناس مماثلته للمسيح، و في سنة **١٨٩١م** أعلن أن المسيح قد مات، و ادعى أنه هو المسيح الموعود و المهدي المنتظر، و في سنة **١٩٠٠م** بدأ بعض الخواص من اتباعه يلقبونه بالنبي صراحة، و كان هو يقول إن نبوته نبوة جزئية أو نبوة غير كاملة، و ذلك حتى لا يثير الناس عليه، و في سنة **١٩٠١م** أعلن الميرزا بوجه سافر أنه النبي و الرسول، و لم يكن لدعواه تلك صورة واحدة بعينها، و لكنها اختلفت باختلاف الظروف و الأحوال، فهو يقول في أحيان أنه نبي غير حامل للشريعة، ثم يمضي هذا المدعي فيقول إن النبوة ختمت به، و أنه هو المسيح الموعود، بل و أن الوحي ينزل عليه، ذلك أن باب الوحي كما يدعي هذا الضال (ميرزا احمد) لم يغلق إلى الآباد بعد محمد صلى الله عليه و سلم، و ما دام هو نبي و الوحي ينزل عليه فإن له أمة يبلغها كلام الله هي الأمة القاديانية، و أن كل من لا يؤمن بما قاله الميرزا أحمد فهو كافر غارق في الكفر على حد قوله.

و هكذا حاول القاديانيون أن يجعلوا نحلتهم ديناً له نبيه و مركزه و أصحابه و خلفاؤه و مقدساته و تاريخه، و يقطعون صلة أتباع القاديانية عن تراث الإسلام و منابعه، حتى أنهم يطلقون على رجالهم "رضي الله عنهم" و على زعيمهم "عليه السلام" و على عائلته "أم المؤمنين"، و يرون عزو الأحاديث بإسناد كإسناد الصحاح ، و قد أضفى هذا المتنبي الميرزا أحمد على بلده "قاديان" مركز القداسة و ساواها بالمدينة المنورة، فانظر مثلاً إلى قول أحد أتباعه: **"إن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء في القاديان له نصيب من البركات التي تخص بقبة النبي الخضراء في المدينة، فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه من هذه البركات خلال الحج الأكبر إلى قاديان"**.

و قد تقدم القاديانيون خطوة أخرى و طبقوا على "قاديان" ما نزل من الآيات القرآنية في شأن بلد الله الحرام و المسجد الأقصى المبارك، يقول الميرزا غلام أحمد في تأويل قوله تعالى : **{ومن دخله كان آمناً}** أن هذه الآية تنعت المسجد الذي أسسه في قاديان، و يقول إن المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى: **{سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}** هو مسجد قاديان.

لقد قاوم علماء الإسلام و قادة الفكر في الهند و غيرها من ديار الإسلام هذه الفتنة القاديانية فحاربوها بأقلامهم و علمهم، و اعتبروها نحلة خارجة عن دائرة الإسلام، المتنبي في قاديان – و كذلك بارك الإنجليز هذه النحلة و شجعوها، بل هم الذين غرسوها و رعوها، لأنها دعوة تبث بذور الشقاق في صفوف المسلمين، و أداة طيعة لتحقيق أغراضهم الاستعمارية، و برغم أن المسلمين ظلوا يعلنون بأن القاديانيين مارقين عن الإسلام، فإن الإنجليز لم يكترثوا لتصريحات المسلمين و أصروا على اعتبار القاديانية طائفة من الطوائف الإسلامية، و قد أخذ الاستعمار الإنجليزي بيدها و شجعها حتى استفحل أمرها و تبوأت المناصب الرئيسية في الإدارة المدينة و في الجيش.

و قد سجلت الإدارة البريطانية في الهند نحلة القاديانية كمذهب رسمي في سنة **١٩٠٠م**، و قد استغلت النحلة هذا السند البريطاني فتمادت في نشر ضلالتها و ادعاءاتها الباطلة إلى الحد الذي حدثت بينهم و بين عامة المسلمين اشتباكات و منازعات في جميع المجالات، و رفعوا أمرها إلى المحاكم التي قضت بأن القاديانيين قوم مرتدون عن الإسلا م، و الغريب في الأمر أنه لما قامت دولة باكستان بعد جلاء الإنجليز عن شبه القارة الهندية ظلت هذه الدولة تبسط على القاديانيين جناح عطفها و حمايتها، تقطعهم الأراضي الواسعة ، و تسند إليهم نصيباً وافراً من المناصب الحساسة في دوائرها، و في وجه هذا السند اجتمع زعما ء المسلمين في مدينة كراتشي عام **١٩٥٣م** و طالبوا الحكومة بأن تجعل القاديانين أقلية غير مسلمة على غرار الأقليات غبر المسلمة الأخرى ، و لكن الحكومة استمرت في حمايتها لهم ، بل إن وزير خارجيتها ظفر الله خان كان من القاديانين المتحمسين لدعواهم ، فمكن لهم في السفارات و المفوضيات، و قد حاولت الحكومة قمع حركة علماء المسلمين المعارضين للحركة، فأعلنت الحكم العرفي و زجت بقادتهم في السجون ، و استشهد مئات المسلمين المعارضين للحركة برصاص جنود الحكومة، و كان من ضحايا هذا القمع **الأستاذ أبو الأعلى المودودي** مؤلف كتاب (**المسألة القاديانية**) الذي حكم عليه بالإعدام أولاً، ثم استبدل الحكم بالسجن أربعة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة، و لم تكن جريمته إلا أنه عارض القاديانية، و ألف رسالته المذكورة التي وضح فيها أباطيل القاديانية.

و الدعوة القاديانية لها مراكز في شتى أقطار الأرض ، و لا سيما في البلدان الأفريقية و الأوروبية و إيران، و عدد مراكزهم في العالم حسب تصريحاتهم إحدى و ثلاثين مركزاً، و من أغرب ما يكون أن لهم مركزاً في إسرائيل أسسوه في حيفا في ظل الحماية البريطانية، و من حيفا يرسلون دعاتهم للبلدان العربية، و هم الآن ينعمون بحماية إسرائيل لهم ، و تجدر الإشارة إلى أنهم يقيمون في إسرائيل على الجواز البريطاني، لأن باكستان لا تعترف بالكيان الإسرائيلي في فلسطين، و موالاتهم لإسرائيل ثم للإنجليز دليل قاطع بأنهم غير مسلمين، و لا بد للحكومات العربية و الإسلامية و خاصة الجامعة العربية و لجنة مقاطعة إسرائيل من التنبه لخطر القاديانيين و خطر نشاطهم الدعوي، خاصة و أن دعاتهم الضالين عندما يشرعون في بث ضلالاتهم في أوساط المسلمين لا يظهرون إلا في مظهر دعاة الإسلام، و دعاة البحث و التجديد لإيقاع المسلمين السذج في مصيدتهم.

و تختلف القاديانية مع الإسلام في جملة مسائل منها:

١ - أن عيسى عليه السلام بعد موته هاجر إلى كشمير في الهند لينشر تعاليم الإنجيل في البلاد، وأنه توفي بعد أن بلغ من العمر ١٢٠ عاماً، و أن قبره لم يزل موجوداً هناك.
٢ - إدعائه أنه "المهدي" فهو "نبي"
٣ - رأيه في الجهاد مخالف للرأي الإسلامي، فالجهاد في رأيه وسيلة س لمية للإقناع، فهو يبطل فرضية الجهاد ، و يحاول التغريب بين الإسلام و النصرانية لدرجة تكاد تدمج أحدهما في الآخر.

و الخلاصة أن القاديانية ثورة على النبوة المحمدية و الإسلام، و هي أيضاً وليدة السياسة الإنجليزية التي تحاول قتل روح المقاومة الإسلامية لمخططاتها الاستعمارية و تفريق شمل المسلمين في الهند و غيرها من المستعمرات البريطانية، و لذا حمى الإنجليز ميرزا غلام أحمد و مكنوه من نشر دعوته الرامية إلى تأسيس ديانة جديدة و أمة قاديانية بدلاً عن الإسلام و أمته.

ثالثا: الأحمدية:

انشقت القاديانية بعد نشأتها بقليل إلى **فرقتين**: الأولى **القاديانية أو الأحمدية**، و الثانية **اللاهورية** (أو جماعات لاهور).

الفرقة الأولى تعتقد أن الميرزا غلام أحمد نبي مرسل من الله تعالى، و أنة المسيح الموعود، و أنة أفضل من كثير الأنبياء، و أن أصحابه هم صحابة و رجال البعثة الثانية ، و المسلمون يسمونهم "قاديانيين" نسبة إلى مدينة "قاديان" التي نشأت فيها الحركة و ترعرعت، و هم يسمون أنفسهم "أحمديين" نسبة إلى مؤسس الحركة غلام أحمد المتنبي الكذاب، و ذلك تضليلاً للناس و ذراً للرماد في العيون.

أما الفرقة الثانية "اللهوريين" فيتزعمها رجلان هما **خواجة كمال الدين** و **مولاي محمد علي**، و هم يرون أن الميرزا غلام أحمد مصلح و مجدد و المسيح الموعود، و لهذه الفرقة نشاط كبير في الخارج في آسيا و أوربا.

كل من الفرقتين تسمى نفسها بالأحمدية، و المسلمون لا يفرقون بين هاتين الفرقتين، فكلاهما فرقتان ضالتان خارجتان عن ملة الإسلام.

رابعاً: البابية:

ظهرت الفرقة البابية في عام **١٨٤٤م** في إيران في وقت كانت تعصف الاضطرابات السياسية و لا الفوضى الفكرية الدينية ، في هذا الجو المضطرب ظهر اسم **علي محمد الشيرازي** في عام **١٨٤٤م**، و قد عرف فيما بعد **بالميرزا علي** ليعلن أنه **"الباب"** الموصل إلى صاحب الزمان الإمام المنتظر الذي ينتظره الشيعة الإثني عشرية، و أنة يريد إصلاح ما فسد من أمر الإسلام و القرآن، ثم ما لبث أن تحول الإدعاء و الزعم إلى أنه هو بعينة الإمام المنتظر، ثم تجاوز هذا الإدعاء إلى الزعم بأنه نبي مرسل، حيث قال: "و أن الله قد أوحى إلي إن كنتم تحبون الله فاتبعوني"، و

قال: "و لقد بعثني الله بمثل ما قد بعث به محمداً رسول الله من قبل "، و لم يقف هذا المدعي عند هذا الحد بل زعم أن الإله حل فيه في كتابه **"البيان"**.

و خلاصة هذه الدعوة المسماة "البابية" أنها ناسخة للشريعة الإسلامية، و أن الباب هو خاتم النبيين بعد محمد صلى الله عليه و سلم، و أنه أنزل عليه كتاب أفضل من القرآن الكريم و اسمه "البيان" فيه مضمون دعوته، و الذي لا يصح على الأتباع إلا قراءته دون سواه ، و أن كل من لا يؤمن بكتابة هذا كافر يستحق القتل، كما أن الباب ألغى الصلوات الخمس و صلاة الجمعة و صلاة الجماعة إلا صلاة الجنازة، و قال إن القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيراز، و قال إنه أفضل الأنبياء قاطبة.

و البابيون يرون أن الأنبياء ليسوا إلا مصلحين اجتماعين جاءوا لإصلاح شئون البشر، و يمكن أن يأتي مثلهم كثيرون، و من ثم أنكروا أن محمداً صلى الله عليه و سلم هو خاتم الأنبياء، و الغريب هنا أن يدعي "الباب" أنه نبي في حين ينفي عن الأنبياء صفة النبوة. و قد هاجم علماء المسلمين هذه الدعوة الإلحادية و اعتبروها دعوةً خارجة عن الإسلام، و قبض حاكم شيراز على "الباب" و أمر بتعليقه من ساقيه و ضربه حتى أعلن توبته، و لكنه ما لبث أن عاد إلى كفره فقبض عليه و أعدم في عام **١٢٦٥هـ** .

<u>خامساً: البهائية:</u>

بعد إعدام "الباب" قام بالأمر من بعده أحد أتباعه و هو **الميرزا حسين علي المازندراني** الملقب بـ **"البهاء "** أو **بهاء الله**، و أخوه المسمى **صبح الأزل**، و ادعى "البهاء" أنه الموعود الحقيقي و المسيح المرتظر، و أن "الباب" لم يكن إلا داعياً و مبشرا به، فمثله معه **كمثل يوحنا المعمداني مع المسيح عليه السلام**، و بدأ ينشر تعاليمه في طهران، ولكنه تورط في **محاولة لاغتيال شاه إيران** للإفراج عنه، فاستجابت الحكومة الإيرانية فنفته إلى العراق حيث تولته مجموعة من اليهود لتخطط له منهجه، فوجهه اليهود وجهة تتصل بالماسونية حيث الدعوة إلى وحدة الأديان بالخروج على أصولها في دين جديد، و هي دعوة تستهدف عالمية الدين الإسلامي و تعاليمه بنسخها في دين عالمي جديد.

و قد تنبهت السلطات العثمانية إلى خطر البهائيين و البابيين فنفتهم إلى **الأستانة** ثم إلى **أدرنة**، و أخيراً **نفي البهاء إلى عكا** و **نفي شقيقه صبح الأزل إلى قبرص** حيث ادعى كل منهما أنه رسول مستقل و ليس خليفة للباب، و أن لكل منهما كتاب خاص به ناسخ للشرائع السابقة، **فللبهاء كتابه المسمى (الأقدس)**، و **لأخيه كتابه المسمى (ألواح)**، و دخل الإخوان في صراع مرير بينهما تمكن "البهاء" خلاله من إبادة جماعة أخيه، حيث صفا له المكان فادعى النبوة، ثم ادعى الألوهية، و لقب نفسه البهاء أو بهاء الله أي وجه الله الأبهى، حيث سانده اليهود كما أسلفنا، و قد أسقط البهائيون فريضة الجهاد و أيدوا الدعوة الصهيونية و اغتصابها لفلسطين، و أيدوا الربا بإيعاز من اليهود، و قد اتضحت صلة هذه الحركة بالاستعمار البريطاني و باليهود عندما منحته الحكومة البريطانية جنسية إنجليزية، و أنعمت عليه بالوسام الإمبراطوري و بلقب **(السير)**، و هذه المنح لا تقدم إلا لمن قدم خدمات جليلة للإمبراطورية البريطانية على حساب الإسلام و المسلمين، و قد اتخذ البهاء بعد ذلك من عكا مقراً له ، و الدعوة البهائية مخطط كامل لهدم الإسلام، إذ فيها:

١ - تأويل القرآن الكريم على غير مفهومها و مدلولها اللغوي و الشرعي.
٢ - قولهم إن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا الزمان، و في هذا إقرار بالقوانين الوضعية الاستعمارية، و بفصل الدين عن كافة شئون الحياة.
٣ - معارضة الجهاد و مقاومته، و قد ارتفعت صيحتهم هذه ضد مقاومة أهل فلسطين للمخطط الصهيوني الرامي إلى استلاب أراضيهم، كما أنهم وظفوا هذه الدعوة ضد دعوة السلطان عبد الحميد الثاني للجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى.
٤ - محاربة لغة القرآن الكريم: اللغة العربية، ثم ادعاء نبوة جديدة و دين جديد ناسخ للإسلام و الأديان جميعاً هو دين البهائية.
٥ - إبطال الشريعة الإسلامية و أحكامها و بالذات في شأن المرأة، فهم دعاة للاختلاط المطلق بين الذكور و الإناث، و إلى مساواة المرأة بالرجل مساواة مطلقة.
٦ - دعوة السلام العالمي التي تخدم إسرائيل و احتلالها لفلسطين و الأراضي العربية، ثم أيضاً دعوى الصهيونية العالمية بالسيطرة على العالم.
٧ - الترابط بين اليهودية التلمودية و البهائية، و متابعة اليهود في منهجهم، و الاستمداد من التراث اليهودي.
٨ - ادعاء البهاء للإلوهية: ذلك أنه أدعى أولاً خلافة الباب، ثم أدعى أنه المهدي المنتظر و أنه المسيح، و أن جميع الأنبياء بشرت به، ثم أعلن في نهاية المطاف أنه إله و رب، و أنه "بهاء الله" و"مظهر الله" و"منظر الله" الذي يتجلى في طلعته جمال الذات الإلهية.
٩ - دعوى البهائين بعدم انقطاع الوحي و الرسالة، لأن انقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه و سلم ليس له سند في منطق الواقع كما يزعمون، و يقولون أن الرسل شخص واحد و رسم واحد و ذات واحدة و حقيقة واحدة.
١٠ - إيمانهم بتناسخ الأرواح، و ينكرون الثواب و العقاب كما قال به الإسلام، كما ينكرون اليوم الآخر.

و الغرض من كل هذه الدعاوى و الأفكار الباطلة هي القضاء على الإسلام، و العمل على فرقة أهله حمايةً للاستعمار الغربي، و قد أفتى علماء المسلمين بكفر البهائين و خروجهم عن الإسلام.

المحاضرة التاسعة: أساليب إضعاف العالم الإسلامي :

٢- الاستشراق:

"الاستشراق" كما يعرفه أهله: هو اشتغال طائفة من الباحثين بدراسة علوم الشرق و حضارته و أديانه و لغاته و ثقافته، و أسهم تياره في صناعة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي و العربي، و عبر عن خلفية الصراع الحضاري القديم و الحديث بين الغرب و الشرق بالمستشرقين عندما درسوا الإسلام: مبادئه و حضاراته و تاريخه تحت ستار ما يسمى بالبحث العلمي مثلاً، لم يلتزم معظمهم بموضوعية البحث العلمي، فلم يحرصوا على إظهار الحقيقة، بل عمدوا إلى تشويهها بباعث من التعصب البغيض و الحقد على الإسلام و أهله و الرغبة في طمس معالمه، و هذا التعصب كما يراه الكثيرون راجع في جذوره إلى الحروب الصليبية و نزعتها العدائية للإسلام، و من ثم يمكن وصف الاستشراق بأنه أسلوب جديد و غريب للسيطرة على الشرق، و إلى الهيمنة الفكرية و السيطرة على مقدرات المنطقة سياسياً و اقتصادياً.

تباينت وجهات نظر المفكرين في ظ اهرة الاستشراق أسبابها و دوافعها، و تعددت الآراء في تحديد فتراتها التاريخية ، بيد أن معظم المهتمين بالأمر أعادوا منطلقاتها الرئيسية إلى نزعة التعصب الديني، و سمة الاستعلاء السياسي عند الغرب، و أرجعها بعضهم إلى دوافع شخصية حين ازدهرت العلوم الإسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)، و انتشرت المراكز العلمية في العالم الإسلامي، و إلى حوافز ثقافية ممن أغوتهم فكرة الاطلاع على ثقافة الغير و التعرف على حياتهم الاجتماعية و الدينية و الحضارية، لكن هؤلاء المستشرقين لم يكونوا على درجة واحدة من الإخلاص للعلم و المعرفة في أبحاثهم المتنوعة، فهناك طائفة منهم أخلصت و كانت موضوعية في أبحاثها، و استطاعت على قلة عددها أن تنصف الإسلام و تاريخه و حضارته من الافتراءات و المغالطات المردودة، و لعل من أهم أولئك المستشرق **ليوبولد فايس** الذي أسلم و تسمى باسم **محمد أسد**، و المستشرق المبشر و الذي أسلم أيضاً **إبراهيم خليل أحمد**، و هناك آخرون.

أما الطائفة الثانية من المستشرقين و هي الأكثرية فقد تعمدت الدس و التشويش، و تقصت سلبيات المجتمعات الإسلامية فضخمتها محاولةً أن تجعل من التفاصيل قضايا عامة، ملحقةً أخطاء بعض المسلمين بالدين نفسه بغية إضعاف مواطن القوة و اغتنام أماكن الضعف، و لم يترك هؤلاء منفذاً يؤمن هدفهم و مصلحة دولهم السياسية إلا استفادوا منه، سواء عن طريق التأليف و النشر، أو عن طريق الجمعيات العلمية و المدارس و الجامعات، و إقامة المؤتمرات و الندوات، و هم في كل ذلك لا يريدون سوى إيجاد دراسات تاريخية و دينية تشوه الإسلام.

إن معظم المعطيات التي بين أيدينا من كتابات المستشرقين الأدبية و التاريخية و السياسية و الدينية تدين حركة الاستشراق و أهدافها المشبوهة، و تربطها بعجلة السياسة الغربية التي لم تتردد يوماً عن استخدام كل الوسائل و السبل للوصول إلى غايتها الاستعمارية، و يمكن تلخيص أهداف حركة الاستشراق في أمرين:

١. التبعية للغرب و الاستسلام لقيمه المادية الحديثة.
٢. بث روح التخاذل الديني بين المسلمين بالتشكيك في دينهم و تاريخهم و إرثهم الحضاري، و ذلك بالتركيز علة النواقض و السلبيات في هذه الجوانب، و بتأويل النصوص الدينية و شرحها شروحاً منافية للتعاليم الإسلامية، مما يقوي فكرة الشكل، و يضعف الرابطة الدينية، و يؤدي إلى **(تغريب)** العقلية الإسلامية.

إن نظرةً سريعة إلى أعمال معظم المستشرقين تكشف بوضوح مدى محاولتهم تشويه التراث الإسلامي و الدس على الإسلام بمختلف الأساليب، و نشر الأباطيل حوله، مثل القول ببشرية القرآن، و الادعاء بأنه من صنع محمد صلى الله عليه و سلم، و دعواهم بأن الإسلام اقتباس من الأديان السابقة: اليهودية و النصرانية، و أن النبي صلى الله عليه و سلم تأثر بتعاليم تلك الأديان و حرف في نصوصها، و جعل القرآن مضربة (على حد قولهم)، كما أنهم صوروا القرآن على أنه دين العنف و الدماء للانتقاص من مكانة الجهاد، و شككوا في قدرة الإسلام و اللغة العربية في مسايرة التطور، و قالوا إن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني، و أثاروا ما يسمى بقضية تحرير المرأة و موقف الإسلام منها، و غير ذلك من الإدعاءات و الأباطيل.

كما أن الاستشراق نال من المناهج التعليمية و الثقافية و الفكر في العالم الإسلام ي خاصة على يد تلاميذ المستشرقين ، و الغرض من ذلك خلق جيل لا يعرف دينه جيداً، و لا يعرف حضارته إلا بصورة شائنة بسبب تلك المناهج التعليمية، و بسبب ما بثه المستشرقون من أباطيل حول ثقافة الإسلام و فكره، و كل هذه العوامل تضعف من فكر الأمة، و من ثقتها بنفسها و بعقيدتها، فيسهل على المستعمر استعبادها.

و كما يلاحظ أن الاستشراق أصبح بعد الحروب الصليبية ذا صبغة سياسية و دينية، و أن بعض رجاله اهتموا بدراسة بلاد الشرق و علومه تحت دوافع سياسية مشوهة ، حيث ظهر أن معظم كتابات المستشرقين في الدول المستعمرة ذات أهداف مشبوهة و أحكام مسبقة لم تلتزم بالأمانة العلمية، و لكن هناك بعض الأعمال الجليلة التي قام بها بعضهم، فقد بلغ ما ألفوه في قرن و نصف القرن منذ أوائل التاسع عشر الميلادي حتى منتصف العشرين ستين ألف كتاب فيه الغث و الثمين، و فيه المتحامل و الموضعي، و قد لاحظ بعض الدارسين لحركة الاستشراق أن الألمان من أكثر المستشرقين دقة في التأليف و موضعية في استقصاء الحقائق التاريخية، و ربما يعود ذلك إلى أن ألمانيا كانت أقل الدول الأوروبية

استعمارية، و قد تجلى هذا الإخلاص في البحث و المعرفة من خلال الأعمال التي قام بها **(جوهان جاكوب رايسكه)** سنة١٧١٦ – ١٧٧٤هـ مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا، و الذي تفانى في دراسة و خدمة اللغة العربية و آدابها، و هناك آخرون أمثاله.

و لعل الدور المطلوب حالياً من رجال الاستشراق بعد أن أصبحت عملية التعارف بين الشرق و الغرب ممكنة و سهلة هو أن يقوموا على دراسة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، و الأخذ بمنجزات العصر الحديث و مكتشفاته، و الانفتاح بإخلاص و موضوعية على منجزات الشرق الإسلامي و حضارته الإسلامية العريقة.

٣- حركة التنصير و البعثات التنصيرية:

التنصير هو عملية التحول إلى النصرانية سواء من الإسلام أو غيره من الديانات السماوية كاليهودية أو كالوثنية التقليدية و غيرها، و للتنصير وسائله المتعددة من مدارس و معاهد و جامعات و مستشفيات و ملاجئ و صحافة و أفلام و إذاعة و دور نشر و ندوات و مؤتمرات، و غيرهما من الأساليب و التكتيكات المدروسة و المجربة.

و دوافع حركة التنصير نابعة من العداء الذي يشعر به الغرب و الكنيسة النصرانية للإسلام و من خوفهما منه، بسبب الاعتقاد الراسخ بأن الدين الإسلامي هو العقبة الحقيقية القائمة في طريق تقدم حركة التنصير في العالم و في سبيل سيطرة أوروبا على الشرق الإسلامي ، فالعداوة بين الإسلام و بين الغرب مزيج من عدة دعاوي دينية و سياسية.

ففي جانب الدعاوى الدينية يقول أحد دعامات حركة التنصير المدعو **"زويمر"**: "إن الهدف من التبشير هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم "، و يقول **"غلادستون"** أحد رؤساء وزراء بريطانيا السابقين: **"ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، و لا أن تكون هي نفسها في أمان "**، و يقول متنصر آخر: **"إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقيا"**.

أما من جانب الدعاوى السياسية فإن المتنصرين في نظر الاستعمار هم عيونه الذين يقومون بتمهيد الس بيل له باستعمار الأمم الإسلامية ، فيمدونه بما يحتاجه من معلومات عن المسلمين و عقائدهم و آدابهم و ثقافاتهم، و يعملون على إظهار المستعمرين في غير مظهرهم الحقيقي حتى لا يتحد المسلمون في مقاومتهم له.

فالتنصير إذاً يهدف إلى تغريب أبناء الشرق المسلم و إبعادهم عن دينهم و قيمهم و ربطهم بأوروبا، و إلى تقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية.

و الذي لاشك فيه أن حركة التنصير خطر داهم على الإسلام و المسلمين، لأنه تتستر وراءه مظاهر براقة خداعة ، من ذلك وسائله التي تبدو و كأنها أعمال خير و هي ليست كذلك ، فالغاية منها ليست خيراً و إنما الوصول بالنصرانية إلى الشعوب الأخرى : المسلمة و غيرها، و إنشاء المستشفيات و المصحات و الملاجئ و الأندية و الجمعيات الاجتماعية و الأندية و المخيمات و الإعلام و غيرها من الوسائل، بغرض نشر دينهم النصراني.

ومن أهم وسائل التنصير:

أ - إدخال المسلمين إلى الديانة النصرانية.
ب - فتح المؤسسات التعليمية من رياض للأطفال و مدارس و معاهد و كليات و جامعات في أنحاء العالم الإسلامي.
خ - تحطيم الحواجز بين المسلمين و الكفار تحت ستار المساعدات الإنسانية الطبية و الغذائية، و خاصة في إندونيسيا و بنغلاديش و بعض البلدان الأفريقية.
د - التركيز على إفساد المرأة المسلمة و محاربة اللباس الشرعي (الحجاب).
ذ - مراقبة العالم الإسلامي و التجسس عليه، و رصد الحركات الإسلامية، و الثابت الآن أنه لكثير من المؤسسات التنصيرية صلات مباشرة بدوائر الاستخبارات في بلادها.
ر - السيطرة على العالم الإ سلامي عن طريق التغيير التعليمي و العمل الاجتماعي بإحداث المؤسسات ، و تقديم الخدمات المختلفة تحت ستار الإنسانية، و كذلك عن طريق المشروعات الاقتصادية و العمرانية.

و كنموذج لاستهداف المتنصرين للعالم الإسلامي نورد مثالاً وحداً هو استهدافهم لإندونيسيا المسلمة، و منه سندرك حجم التآمر الذي تتعرض له بلدان المسلمين، و ما يستوجبه ذلك على الأمة الإسلامية من يقظة و حذر، فالغارة التنصيرية على هذا البلد نشطة على الحد البعيد، و في سباق مع الزمن لتحقيق أهدافها، لقد وضعوا خطة عملهم ضد إندونيسيا في مؤتمرهم الذي عقدوه في مدينة **(مالانج)** الإندونيسية في عام **١٩٦٧م**، حيث قرروا أنه يجب الانتهاء من تنصير جزيرة **"جاوا"** و التي بها حوالي ٦٥ مليون نسمة خلال ستين عاماً بكل السبل و الوسائل، و لو عنى ذلك شراء المسلمين بالمال في ذلك البلد الفقير، و لدينا إحصائية توضح مدى الخطر الذي يهدد المسلمين في إندونيسيا و هي:

- إحصائية لعام ١٩٩٠م لمجلس كنائس إندونيسيا لطائفة البروتستانت و التي توضح أنه يوجد في إندونيسيا:
  أ - ١٥٨١٩ كنيسة بروتستارتية.
  ب - ٦٩٩٧ قسيس بروتستانتي.
  ت - ٢٠٢٠٣ متنصر (مبشر) متفرغ.
- إحصائية لعام ١٩٩٠م للكنيسة الكاثوليكية في إندونيسيا و التي توضح:
  أ - ١٠٥٢٠ كنيسة كاثوليكية في إندونيسيا .
  ب - ٨٧٣٠ قسيس كاثوليكي.
  ت - ١٠١١٦ متنصر (مبشر) متفرغ.

ليس هذا فحسب بل إن مؤسسات التنصير تملك عدداً كبيراً من السفن و الطائرات العمودية لمساعدة المتنصرين على الانتقال بين المدن و القرى و الثلاثة آلاف جزيرة التي تتكون منها إندونيسيا ، كما أن المتنصرون يمتلكون عدداً كبيراً من دور النشر و المطابع الحديثة التي تقوم بطباعة كتب الأطفال و القصص المصورة، و طباعة الإنجيل و توزيعه مجاناً، هذا بالإضافة إلى المكتبات العامة و شبكة اتصالات لاسلكية حديثة لتنسيق أعمال الإرساليات، و لهم وسائل إعلامهم من صحف و إذاعات محلية في شتى أنحاء البلاد ، و لهم عشرات المعاهد و الجامعات و المستشفيات الكبرى و المتنقلة، و تكفي الإشارة أن مؤسسة تنصيرية واحدة تقوم على ١٨٠ مستشفى و ١٢٩ مستوصف للولادة و ٣٤٥ صيدلية و٤٥ عيادة متنقلة.

كما أن مجلس الكنائس العالمي و الفاتيكان يسهمون بطريقة مباشرة في أعمال التنمية في إندونيسيا تحت شعار **(من الكنيسة إلى المجتمع)**، حيث أنشأوا "هيئة مجلس الكنائس" للمساهمة في أعمال التنمية كمدخل جديد للوصول إلى قطاعات من السكان لا يستطيعون الوصول إليها بالطرق التقليدية، و هناك العديد من المنظمات الأمريكية غير الحكومية العاملة في مجال التنصير و التي تحصل على دعم من بعض وكالات الأمم المتحدة مثل منظمة الصحة العالمية WHO و منظمة الأغذية العالمية FAO و منظمة اليونسكو و اليونسيف... إلخ، علماً بأن الدول العربية و الإسلامية تسهم في ميزانيات منظمات الأمم المتحدة تلك، و من تلك المنظمات المستفيدة من دعم الأمم المتحدة هي:

أ - مجلس الإرساليات الطبية الكاثوليكية، و الذي يعمل من خلال الطب و الصحة العامة.
ب - خدمات الإغاثة الكاثوليكية.
ت - صندوق الأطفال المسيحي.
ث - جمعية الرحمة الدولية، و تعمل في مجال رعاية الأيتام و الأطفال اللقطاء... إلخ.
ج - المنظمة الكاثوليكية.

و هذه مجرد أمثلة لبعض المنظمات التنصيرية المدعومة دولياً و التي تعمل بجد و مثابرة في إندونيسيا.

و إلى جانب هذه المنظمات فإن هناك العديد من المدارس و المعاهد و المستشفيات و ملاجئ الأيتام و دور العجزة و مراكز الشباب التي تتبناها و ترعاها منظمات و مؤسسات تنصيرية في هولندا: الدولة التي كانت تستعمر إندونيسيا.

و يبقى الفقر منفذاً أساسياً يتسلل منه المتنصرون إلى صفوف المسلمين، و لا بد للحكومات و المنظمات الإسلامية من سد هذه الثغرة ، و التنبيه لخطر حركة التنصير، و الوقوف أمام مخططاتها الشريرة بطرق علمية مدروسة، فهي تعمل عبر وسائل ماكرة خادعة.

٤- الميراث الاستعماري:

اهتم الاستعمار بتشجيع النزعات القومية و العنصرية، بالرغم أن الإسلام دين لكل البشر ، و الناس كلهم سواسية في الإسلام، و أمته أمة واحدة، دينها واحد، و رابطها واحد، و ليس في الإسلام عصبية أو قبلية أو قومية، فقد حاربها الإسلام جميعاً حينما جعل المسلم أخا المسلم، فقال سبحانه و تعالى في سورة الحجرات : **{إنما المؤمنون أخوة}**، و لما كان الاستعمار يدرك هذه الحقيقة و يعلم أهميتها بالنسبة للمسلمين ، فقد عمل على إزالتها من نفوسهم، فمثلاً أراد أن يبعث في مصر فكرة "الفرعونية" التي تقوم على إحياء التراث العمراني: تراث ما قبل الإسلام و الاعتزاز به، كما بعث "الفارسية" في إيران، و سوغ لها و للحضارات الفارسية القديمة السابقة لحضارة الإسلام، الاعتزاز بتاريخ الفرس القديم، و كذلك أثار الاستعمار دعوى "الفينيقية" في بلاد الشام لنفس الأسباب و الأهداف، ثم "الآشورية" في العراق، و "البربرية" في المغرب، و لكن أهل المغرب قاوموها، و الغرض من كل هذه الدعوات الإقليمية الضيقة هو سلخ أجزاء العالم الإسلامي بعضها عن بعض تمهيداً لاستعمارها و السيطرة عليها.

و لما لم تنتصر هذه الدعوات الضيقة لجأ الاستعمار إلى نشر أفكار جديدة، مثل فكرة العروبة التي أراد لها أن تكون رابطة قومية للعرب مناقضة للإسلام، ثم أشعل النار بين القوميتين العربية و التركية و حاول التفريق بينهما ، بعد أن كان الإسلام يجمع بين الأمتين على مدى العصور الإسلامية المختلفة.

و في ظل القومية العربية انسلخ القوميون عن جسم العالم الإسلامي ، و نظروا إلى قضاياه بما ينسجم و نظرتهم القومية، لا كما يمليه عليهم إسلامهم، فمثلاً سميت قضية فلسطين بالقضية العربية كأن لا علاقة للدول الإسلامية غير العربية بها، و هي في الواقع قضية إسلامية.

و الغرض من إثارة كل هذه الأفكار العنصرية الضيقة سواء كانت قومية أو وطنية أو اشتراكية أو غيرها هو اعتبار الدين عنصراً لا أهمية له، و لعل من أوضح الأمثلة على تشجيع الاستعمار للنعرات العنصرية مشكلة جنوب السودان، و مشكلة الأكراد في العراق، و تركيا و سوريا و هو ما سنتناوله بشيء من التوضيح فيما يلي:

أ- مشكلة جنوب السودان:

هي مشكلة ورثها السودان من الاستعمار البريطاني، و هي من صنع ذلك الاستعمار الذي سعى بكل السبل إلى تعمق الفوارق العرقية و الدينية و الثقافية بين شمال السودان و جنوبه بهدف فصل الجنوب عن الشمال ، فعزل الجنوب إدارياً و ثقافياً و دينياً عن الشمال ، و أدخل في روح الجنوبيين أنهم مستعمرون من سكان الشمال المسلمين، و أن العرب في الشمال يستغلونهم و يغمطونهم حقوقهم السياسية و الاقتصادية، و أن أهل الجنوب عرقياً مختلفين عن أهل الشمال ، و من أجل تعميق هذه الأفكار و غيرها أطلق للإرساليات التنصيرية يدها في الجنوب ، فمنحها كل ما تحتاجه من عون و سند، و بالمقابل حارب الإسلام هناك و منع انتشاره بكافة السبل، و سن القوانين لمنع اختلاط أهل الشمال بأهل الجنوب خوفاً من أن ينتشر الإسلام بينهم، و قد أدت سياسة العزل السياسي و الحضاري هذه إلى المواجهة بين الشمال و الجنوب، و ليست الحرب الدائرة في جنوب السودان الآن و التي تستنزف موارد البلاد كلها حرباً بين الإسلام و النصرانية كما تصورها أجهزة الغرب الإعلامية الاستعمارية، و إنما هي نتيجة لتفاعلات الخلافات الحضارية و الثقافية و السياسية التي زرعها الاستعمار البريطاني و المؤسسات الكنسية في أرض الجنوب، و هي أيضاً نتيجة الأباطيل التي ملأ بها الاستعمار عقول بعض الجنوبيين ممن تخرجوا في مدارس الجنوب.

ب- المشكلة الكردية:

و هي أيضاً من صنع الاستعمار يوم أن خطط الحدود السياسية التي تفصل بين أمة تركية و أمة عربية و أمة إيرانية، ثم فرق الأكراد و ألحق كل مجموعة منهم بوطن من أوطان هذه الأمة الإسلامية ، فمزق هويتهم و عمق إحساسهم بالضياع و التشتت، فمواطنهم متعددة و واقعة في أرض وعرة التضاريس: بعضها في شمال العراق، و بعضها الآخر في شرق أو جنوب شرق تركيا ، و بعضها الثالث في غرب إيران ، و من ثم تولد للأكراد شعور بأنهم حبيسوا هذا الوطن المحدد تحيط بهم الأمة العربية و الأمة الإيرانية و الأمة التركية من كل جانب، و أنهم سلالياً مختلفين عن هذه الأمم.

ج- المشكلات الحدودية:

و هذه من أقسى المشكلات التي ورثتها الاستعمار للحكومات الوطنية التي خلفته في حكم كثير من بلدان العالم الإسلامي، فقد قسم الاستعمار البلاد الإسلامية التي سيطر عليها إلى مناطق نفوذ بريطانية و فرنسية و إيطالية... إلخ، ثم قسم مناطق النفوذ تلك إلى مناطق وحدات متعددة ، و قد بدا ذلك واضحاً في سياسة الاستعمار الفرنسي في سوريا، حيث قسمها إلى أربع وحدات، ثم إلى وحدتين هما: سوريا و لبنان، و سياسة الاستعمار في كل ذلك هي ترسيم حدود جغرافية مصطنعة دون مراعاة لخطورة تمزيق العناصر البشرية الواحدة ، وهدف الاستعمار دائماً هو تمزيق العالم الإسلامي جغرافياً و سكانياً، و خلق بؤر صراع بين كل دولة و جارتها و بخاصة في المناطق ذات الثراء الاقتصادي ، فمثلاً عمد إلى خلق ما يعرف بالمناطق المحايدة بين بعض الدول الخليجية و غيرها، الأمر الذي أثار صراعات حدودية بين تلك الدول، فهناك الآن صراع بين المغرب و الجزائر على بقعة من الأرض ذات ثراء معدني ، ثم كانت قضية الصحراء المغربية، ثم اقتطع الاستعمار لواء الإسكندرونة السوري و ألحقه بتركيا، و هناك قضية شط العرب و الحدود بين إيران و العراق، و قضية كشمير بين الهند و باكستان، و بين بعض دول الخليج بعضها مع بعض، و التي وصل بعضها إلى محكمة العدل الدولية **بلاهاي**.

د- سيطرة ثقافة المستعمر:

من الإستراتيجيات التي اعتمد عليها الاستعمار في تركيز هيمنته على الدول الإسلامية الواقعة تحت سيطرته تغليب ثقافته و لغته على ثقافة و لغة تلك الدول، و خلق طبقة من متعلمي ذلك البلد الذين تعملوا في معاهده وعلى يديه لتقوم بأعباء الحكم من بعده ، و هذا ما عرف بتهيئة الأقليات للحكم، و بخاصة الأقليات النصرانية التي ستقوم برعاية مصالحه (المستعمر) على حساب مصالح أممها الإسلامية ، فمثلاً تتحكم الأقليات النصرانية الحاكمة في عدد من البلاد الأفريقية ذات الكثافة المسلمة ، كان ذلك في تشاد (على سبيل المثال) و حتى عهد قريب، فقد حكمت تلك البلاد فئة تقل نسبتها عن ١٠% من نسبة السكان المسلمين، و قد تغير هذا الوضع الآن ، أما في أرتيريا و أثيوبيا و تنزانيا مثلاً فالحكم للأقلية النصرانية التي تتحكم في رقاب الكثرة المسلمة هناك ، و لعل السبب في ذلك أن الاستعمار قد عمل في تلك البلاد و غيرها على جعل الأكثرية المسلمة في حالة من الجهل و الفقر و التأخر بحيث لا تستطيع تولي المراكز القيادية في الدولة.

هـ - إسقاط الخلافة الإسلامية في الدول العثمانية:

عمد المستعمرون بعون من الصهيونيين و العلمانيين (كما رأينا في موضع سابق) إلى إسقاط الخلافة العثمانية لكونها نواة اتحاد المسلمين ، و لكونها أساس الحكم في الإسلام القائمة على أمور المسلمين كلهم ، و قد تعرضنا سالفاً لكيفية إسقاط الخلافة و الآثار السلبية التي ترتبت على إسقاطها.

المحاضرة العاشرة: اتجاه مقاومة الاستعمار الغربي في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)

أولا: الصحوات الإسلامية:

لمصطلح **"الصحوات الإسلامية"** عدة معاني: فهو يطلق مثلاً على الحركات الإسلامية التي ظهرت في بعض بلدان العالم الإسلامي خاصة في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) التي قامت بهدف محاربة ما ساد تلك البلاد من سلوك و ممارسات تتنافى مع جوهر الدين الإسلامي الحنيف، و ذلك عن طريق إعادة الدين إلى مكانته الأول ى التي عاشها زمن الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم و زمن خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم جميعاً، أي الرجوع إلى دين السلف الأول الخالي من البدع و الضلالات.

و لقد كانت إحدى تلك الحركات دعوة **الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية** في **نجد**، و كذلك الدعوة **السنوسية** التي اتخذت من **برقة بليبيا** منطلقاً لها، و الثورة **المهدية** في **السودان**، و يشمل مصطلح "الصحوات الإسلامية" إلى جانب هذه الحركات الثلاث فكرة **"الجامعة الإسلامية"** التي **تزعم الدعوة إليها جمال الدين الأفغاني**، و ساعده في نشرها **صديقه و تلميذه المصلح الإسلامي محمد عبده**، و حمل لواءها من بعد ذلك **الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة "المنار" الإسلامية**، و أنصاره ممن ساروا على دربه السلفي.

و اتسع مدلول مصطلح "الصحوات الإسلامية" ليشمل الحركات التحررية التي شهدتها بعض بلدان العالم الإسلامي الرامية للتخلص من السيطرة الاستعمارية المعادية للإسلام و أهله، كما أصبح هذا المدلول يطلق على بعض المشروعات الوحدوية الإسلامية و العربية التي تعمل على جمع شمل المسلمين و تعزيز تضامنهم، مثل **منظمة المؤتمر الإسلامي** و **رابطة العالم الإسلامي** و ما تفرع عنهما من مؤسسات ثقافية و اقتصادية و إعلامية.

و هناك من يرد بدايات هذه الصحوة إلى أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حيث كانت أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عاش و عايش دمار التتار في العالم الإسلامي، فدعا إلى الرجوع إلى إسلام السلف الصالح الخالي من البدع و الشوائب، و إلى فتح باب الاجتهاد و ترك طريق الفلاسفة و المتكلمين لأنها لا تتفق مع الروح السلفية.

١- الحركة السلفية في نجد:

نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي في نجد حيث انتشر المذهب الحنبلي بعد موت الإمام أحمد بن حنبل في عام ٢٤١هـ في بلدة "العيينة" سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م) في أسرة علمية ميسورة الحال ، و"العيينة" قرية باليمامة غرب مدينة الرياض ، تتلمذ على أبيه و حفظ القرآن الكريم عندما بلغ العاشرة من عمره ، و أحاط في حلقة أبيه بكتب السلف و بخاصة بمؤلفات ابن تيمية، و قد تأثر بها، و كان لشخصية ابن تيمية أثر واضح في تكوين شخصيته، ثم أثر الرحلات التي قام بها في طلب العلم، فقد زار الحجاز حاجاً ، و شهد هناك مظاهر كثيرة للشرك من تعظيم للقبور و استغاثة بالموتى، كما أنه تأثر بما شاهده في المسجد الحرام من حلقات طلاب العلم حول مشايخ يدرسون مختلف العلوم النافعة، و بما لاحظه من وحدة إسلامية متجلية في مشاعر الحج ، و كانت هذه الانطباعات حافزاً له لمواصلة تعليمه، ثم زار المدينة المنورة و رجع إلى بلده العيينة، و لكنه سرعان ما رجع مرةً أخرى إلى الحجاز لتلقي العلم على علمائه، و هناك أدرك حاجة الأمة بعامة، و حاجة نجد و الحجاز بخاصة للإصلاح، ثم عاد إلى نجد و ارتحل مرة أخرى إلى البصرة طلباً للعلم، فدرس فيها الفقه و الحديث على عدد من علمائها.

و في البصرة رأى الشيخ محمد كثيراً من الأمور التي كانت مخالفة للحق، فاستنكر كل ذلك في مجالسه، مما أثار عليه بعض العامة، فأخرج من البصرة، و توجه إلى الأحساء، ثم إلى حريملاء ، و فيه أي "حريملاء" وضع كتابه "التوحيد الذي هو حق المولى على العبيد " و أعلن دعوته، فحاولوا قتله، فهجر "حريملاء" إلى بلدة "العيينة" حيث ناصره أميرها عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، فجاهر بدعوته و ازداد أتباعه، و ظهر أمره لمساندة السلطة له، و في العيينة بدأ تطبيق مبادئ دعوته، فقام هو و أتباعه بقطع الأشجار التي يتوسل بها الجهال، و هدم القبة المبنية على قبر في الجبلية كان الناس يظنون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنهم.

و بعد إخراج الشيخ محمد من العيينة ذهب إلى الدرعية، و هناك كان إئتلافه مع أميرها محمد بن سعود، و تعاهدهما على نشر الدعوة و تطبيق مبادئها، فكان قيام الدولة السعودية الأولى على منهاج هذه الدعوة السلفية.

و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تنادي بمذهب جديد، و إنما تنادي بإحياء الدين و الدفاع عن السنة، و الوقوف في وجه الخارجين عليها، و الشيخ يجتهد برأيه، وقد أقام دعوته على المبادئ التالية:

١ - العودة بالإسلام إلى صفائه الأول، و ذلك بالرجوع إلى الكتاب و السنة في معالجة أمور الحياة.
٢ - الدعوة إلى التوحيد و تحرير الذات الإنسانية من الاستعباد للبشر ، فلا إله إلا الله وحده ، و الخلاص من كل ما يتنافى مع التوحيد و كماله، مثل التبرك بالأولياء و التمسح بالمشايخ و التقرب إلى الله بزيارة قبور الصالحين.
٣ - إنكار تأويل القرآن و الاهتمام بظاهر النص.
٤ - فتح باب الجهاد و تحرير الفكر الإنساني من مذلة التقليد.
٥ - الدعوة الصادقة للإسلام بالجهاد في سبيل الله، آمراً بالمعروف أو ائتماراً به، و نهياً عن المنكر أو انتهاءً به، و من ثم فقد تعاهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن مسعود على الحرب و خاض معاركها.

و من ثم فإن أهم ما تهدف إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إفراد الله سبحانه بالعبادة و محاربة الشرك بجميع أنواعه، و قد كان لهذه الدعوة آثار واضحة في عدد من بلدان العالم الإسلامي، و كان لأثرها أسباب منها:

١ - أن الدعوة قامت و ترعرعت و قويت في أواسط الجزيرة العربية، بعيدة عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي كله من خلال النفوذ الاستعماري الزاحف.
٢ - كما أن الدعوة انبعثت في الجزيرة العربية مهد الإسلام ، و أنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم ا لإسلامي قاصدين بيت الله الحرام.

و قد حرص الاستعمار (من ثم) على وأدها و القضاء عليها، فأوغر صدر الدولة العثمانية عليها، و أوهمها أن فيها خطراً عليها و على نفوذها، فأوعزت الدولة بدورها إلى محمد علي باشا في مص ر بإسقاطها، فجرد عليها الجيوش و استطاع القضاء على دولتها في الدرعية، و لكنه لم يستطع القضاء على الدعوة و فكرها، فاستطاعت الدعوة أن توسع مداها، و تأثر بها دعاة سلفيون آخرون في الهند و العراق و الشام و مصر و المغرب، فكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد، و جمال الدين القاسمي في الشام، و خير الدين التونسي في تونس، و أحمد بن عرفان الشهيد، و صديق حسن خان في الهند، و عثمان دن فوديو في أفريقيا ... و غيرهم، و انبعثت منها حركات و دعوات أخرى، كالسنوسية في الشمال الأفريقي، و الحركة المهدية في السودان.

٢ - الحركة السنوسية في ليبيا:

هي إحدى التيارات الإصلاحية الإسلامية التي نشطت في أنحاء متعددة من العالم الإسلامي منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري (الثامن عشر – التاسع عشر الميلادي) بهدف القضاء على البدع و العودة بالإسلام إلى نقائه الأول، مؤسسها هو محمد بن علي السنوسي ال مولود في إحدى قرى الجزائر في عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م، و المتوفى في ليبيا عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م، و السنوسية ليست مذهباً دينياً أو حركة سياسية قومية نشأت أصلاً لتحقيق أغراض سياسية أو مطالب قومية.

تأثر السنوسي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إبان وجوده بمكة، و كانت غايته هي العودة بالعقيدة الإسلامية إلى جوهرها الأصيل و ذلك عن طريق نشر الدعاة الذين كان يرى أن إنشاء "الزاوية" أمر ضروري لإعدادهم و بث الدعوة، لا سيما في البيئة الصحراوية، خاصة و ان السنوسية كانت قد اتخذت من الصحراء الليبية ميداناً لنشاطها.

و تتفق السنوسية في مبادئها مع كافة المبادئ التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كالعودة بالإسلام إلى نقائه الأول، و التركيز على الكتاب و السنة، و فتح باب الإجتهاد، و تنقية الدين مما علق به من ضلالات و بدع.

و قد استطاعت الدعوة السنوسية أن تنتشر في شمال أفريقيا و أجزاء من غربها، و أن تنشر الإسلام بين القبائل الوثنية هناك عن طريق دعاتها و زواياها المنبثة في كل مكان ، و السنوسية امتداداً للدعوة السلفية و إن اختلفت في وسائل نشر مبادئها، و قد تحولت السنوسية كليةً إلى مقاومة عسكرية مسلحة عندما دخلت إيطاليا إلى إقليم طرابلس الغرب في عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م.

و استطاعت السنوسية أن تحقق عدة نجاحات منها : إصلاح المجتمع البدوي الليبي حيث أوجدت في الصحراء مجتمعاً متحداً و متعاوناً، كما أنها أوجدت سلطة دينية تولت الإشراف على الفرد و الجماعة في تلك الأصقاع الصحراوية، و نشرت العلم و المعرفة الدينية في الصحراء عن طريق زواياه المتعددة.

٣- الحركة المهدية في السودان:

قامت هذه الحركة على يد مؤسسها محمد أحمد المهدي (١٨٤٤ – ١٨٨٥م) الذي ولد في جزيرة "لبب" جنوب مدينة دنقلة لأسرة قيل إنها من "الأشراف"، و قد حفظ القرآن في صغره في "خلوة" القرية، ثم تجول في أنحاء السودان طلباً للعلم، و تعددت اتصالاته برجال الدين السودانيين و أصحاب الطرق الصوفية، و كان لترحاله هذا دخوله في إ حدى الطرق الصوفية ثم خروجه منها أكبر الأثر في الدعاية له كرجل عابد زاهد، يتأفف عن أكل الحرام ، و قد ساعدته هذه السمعة الطيبة على تكوين جماعة جديدة تأتمر بأمره و تنفذ إرشاداته، كما أن تجواله ذاك مكنه من الإطلاع على أحوال المسلمين السيئة في شتى أنحاء السودان، إضافة إلى ذلك فقد اطلع محمد أحمد المهدي في رحلاته تلك على أحوال البلاد السياسية السيئة، الأمر الذي جعله يفكر في كيفية إصلاح أحوال أهل السودان الدينية و الدنيوية.

و قد اشتهر محمد أحمد بالزهد و الورع و التقشف، الأمر الذي دعاه إلى الانتقال و العيش في جزيرة نائية على النيل الأبيض هي الجزيرة "أبا" بغرض الاختلاء و التعبد، و ربما لجمع الأتباع حوله استعداداً لبدء حركة تعمل على إصلاح أحوال المسلمين فـي السودان :الدينية و الدنيوية. و كانت تعاليمه تتلخص فيما يلي:

١ - العودة بالإسلام إلى ما كان عليه في أيامه الأولى بالاعتماد على الكتاب و السنة.
٢ - التوحيد بين المذاهب السنية الأربعة و الانفراد بمذهب اجتهادي خاص.
٣ - حصر الطريق الموصل إلى الله في أمور هي:
أ - صلاة الجماعة.
ب - الجهاد في سبيل الله.
ت - امتثال أوامر الله و نواهيه.
ث - الإكثار من كلمة التوحيد
ج - تلاوة القرآن.
ح - تلاوة الأوراد.
٤ - تحريم زيارة قبور الأولياء، و تحريم الرقص و الغناء، و منع البكاء وراء الميت، و إبطال السحر و كتابة الحجب، و شرب الدخان و الخمر.
٥ - البساطة في الملبس و المأكل و حفلات الزواج.
٦ - القضاء على الفساد السياسي في السودان و بقية الأقطار الإسلامية، و الإحاطة بالنظام القائم :أي النظام العثماني، و قد كان لهذا الموقف المعادي للدولة العثمانية أكبر الأثر في القضاء على الحركة المهدية.

وقد نجح المهدي في تحرير السودان من الحكم التركي "المصري" كحكم محمد علي و أبنائه للسودان، و استولى على العاصمة الخرطوم في عام ١٨٨٥م، و ظلت الدولة المهدية قائمة على حكم السودان حتى قضت عليها حملة مصرية يقودها جنرال بريطاني هو "كتشنر" في عام ١٨٩٩م و الذي استطاع بسط الحكم الثنائي في السودان في أعقاب هزيمته للحركة المهدية، و ذلك هو الحكم المسمى بالحكم الانجليزي المصري للسودان، و الذي كان في واقع الأمر حكماً إنجليزياً محضاً للسودان لكون مصر ذاتها واقعة حينئذ تحت الاحتلال البريطاني منذ القضاء على ثورة عرابي في سنة ١٨٨٢م.

ثانياً : دور الأزهر والقرويين والزيتونة:

كان لهذه المؤسسات التعليمية الدينيـة دور في مجال الصحوات الإسلامية ، و هو دوراً كثيراً ما أغلفه و أهمله الكتاب و الباحثون، لذا سنلقي الضوء على الدور فيما يلي:

١- الجامع الأزهر:

من أقدم الجامعات الإسلامية التي عرفها العالم فقد ظل منذ إنشائه في عام ٣٥٩هـ بمدينة القاهرة سنداً و حامياً للدين الإسلامي و تراثه الفكري كله، حتى في أحلك الظروف و أصعبها عندما تعرضت مصر و الأمة الإسلامية للغزوات التتارية و الصليبية الاستعمارية التي هددت كيان الأمة الإسلامية، كما أنه ظل منارة علم و هداية يستضاء به فيي كل مكان من العالم الإسلامي.

و الأزهر الآن مؤسسة تعليمية حديثة شملها التطور فأصبحت فيه كليات للطب و الهندسة و بقية العلوم العصرية، و لكنه ما زال الحصن الأمين للدين الإسلامي القائم على تراثه و تعاليمه، و العامل على تطويرها و تحديثها و نشرها بين المسلمين.

٢- جامع القرويين:

يقع في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، و يرجع إليه الفضل في استمرا ر الوجود الإسلامي في تلك الديار و حفظ اللغة العربية و التعاليم الإسلامية، و نشرها في سائر أطراف أفريقيا الغربية، و قد أنشئ عام ٢٤٥هـ (٨٥٩م) و ظل يؤدي دوره كمصدر إشعاع إسلامي دون انقطاع، و لم يتعرض إلى ما تعرض إليه الأزهر أو جامع الزيتونة، و هو من أغنى المساجد الإسلامية من حيث فسحة أراضيه و كثرة عقاراته.

و قد لمعت أسماء بعض من تلقوا العلم في القرويين من أمثال: ابن العربي و ابن بطوطة و ابن خلدون و غيرهم ممن أثروا تراث الأمة الإسلامي الثقافي، و إليه كانت تلك السفارات من المشرق و من الأندلس و تونس و غيرها، كسفارة صلاح الدين الأيوبي إلى المغرب يحضرون مجالس علمائه و ينهلون من فيض علمهم ، و قد كان لعلمائه مشاركتهم في أحداث بلادهم السياسية و العسكرية، فمثلاً كانت استجابة المرابطين لنجدة الأندلس نتيجة (ضمن عوامل أخرى) لفتوى أصدرها علماء جامع القرويين.

٣- جامع الزيتونة:

أنشئ هذا الجامع في فترة مبكرة في عام ١١٤هـ (٧٣٢م)، و كان له الفضل الأول في إنشاء جامع و جامعة القرويين بفاس، حيث أمدها بالعلماء و المناهج و الكتب، و كانت و لكأنها فرع له.

و لم يلبث جامع الزيتونة أن تعثر في مسيرته في القرن الخامس الهجري على أثر تغلب عرب "بني هلال"، و أصبح أثراً بعد عين، الأمر الذي مكن جامع القرويين من الازدهار، و رغماً عن نهضة جامعة الزيتونة من جديد ألا أنه عانى ثانية في القرن العاشر من تدخل الأسبان.

و جامع الزيتونة أحد المؤسسات التعليمية الإسلامية في الشمال الأفريقي، و قد اقترن اسمه في مجال تعليم العلوم الدينية بجامع القيروان في تونس، و جامع القرويين بفاس في المغرب الأقصى، و بالجامع الأزهر في القاهرة.

و الواقع أن بداية تأسيس مسجد الزيتونة كان في حوالي عام ٨٠هـ (٦٩٩م) على يد حسان بن النعمان والي أفريقية في عهد الدولة الأموية، و قد أعاد بناءه من جديد عبيد الله الحبحاب عام ١١٤هـ (٧٣٢م) عندما كان والياً على المغرب، و ربما سمي "الزيتونة" ليكون منارة إسلامية يستضيء بنورها و علمها المسلمون، و كانت الدراسة فيه على نظام "الحلقات" المعروف، حيث يتحلق الطلاب حول العلماء يتلقون عنهم المعارف الإسلامية مثل الفقه و علوم القرآن و اللغة ... إلخ، و قد نظمت الدراسة فيه عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) فأصبح الحصول على شهادة اجتياز امتحان معين هي الشرط الأساس لأن يصبح العالم مدرساً فيه، و أصبح الطالب المتخرج منه يمنح شهادة تسمى بشهادة "التطويع".

و لجامع الزيتونة دور مماثل لدور الجامع الأزهر في مصر و ذلك أن كليهما استطاع أن يقوم بدور فاعل في التصدي للفكر الشيعي، و ان يعيد لمذهب أهل السنة و الجماعة مكانته الحاسمة الفاصلة في العالم الإسلامي سواء في المشرق أو المغرب ، ففي عهد الفاطميين حاولت هذه الدولة نشر مذهب الشيعة الإسماعيلي بين أهل المغرب و محو المذهب السني، و استمر الأمر كذلك حتى عهد حاكم تونس المعز بن باديس رابع ملوك الدولة الصنهاجية، الذي نبذ المذهب الشيعي في عام ٤٤١هـ (١٠٤٩م) و بايع الخليفة العباسي، و أعاد تونس إلى مذهب أهل السنة و الجماعة، و قد كان لجامع الزيتونة دور رائد في تأصيل هذا المذهب، فقد تولى علماؤه مكافحة العقائد المخالفة له، حتى عم مذهب الإمام مالك بن أنس الديار التونسية، و هكذا فقد كان "الزيتونة" كما كان "الأزهر" و كما كان "القرويين" مساجد كالحصون حمت العقيدة و دافعت عنها، و حفظتها في أوقات الأزمات و الخطوب التي ألمت بالأمة الإسلامية.

المحاضرة الحادية عشرة : الصحوة الإسلامية في العصر الحديث:

تحاول الأمة الإسلامية حالياً تجاوز المحن الكثيرة و المصاعب التي اعترضت سبيلها رغماً عما أحيك حولها من مكائد و مؤامرات عديدة، كما تحاول أن تتلمس مواطن القوة لتنطلق من جديد ، خاصة و أنها لا تزال متمسكة بدينها مكمن قوتها و سر بقائها، الذي مكنها من الصمود أما م التحديات الماضية التي واجهتها، و سيمكنها من الصمود و يعينها على النهوض و المواجهة من جديد بإذن الله.

و لقد شهد القرن الرابع عشر الهجري (العشرين ميلادي) محاولات و مؤامرات كثيرة و شرسة استهدفت القضاء على الإسلام و الهيمنة على المسلمين، و نهب خيرات العالم الإسلامي و العبث بمقدراته و قيمه.

و من تلك المؤامرات على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الأزمات الطائفية و السياسية التي تعرضت لها لبنان في تاريخه الحديث و المعاصر.
٢ - الحرب العراقية الإيرانية التي استنزفت موارد و إمكانات البلدين الهائلة، و دونما طائل أو هدف.
٣ - الحرب الخليجية الثانية التي جاءت نتيجة لاحتلال بلد مسلم لبلد مسلم آخر ، و ذلك أمر لم يسبق إليه من قبل ، و لا زلنا نعيش و نعايش نتائجها المأسوية على المنطقة العربية بأسرها.
٤ - الهجمة التنصيرية على بلدان أفريقيا و آسيا، و بخاصة المسلمة منها.
٥ - قضية جنوب السودان التي زرعها الاستعمار الإنجليزي و التي أكلت الأخضر و اليابس في السودان، و استنزفت موارده المادية و البشرية، و وقفت عقبة في سبيل تطوره و نموه رغماً عن إمكانية الزراعية الهائلة.

٦ - قضايا الأقليات المسلمة المختلفة، و كلها حلقات في التآمر على الإسلام و العالم الإسلامي.

و رغم هذه الحلقات المتتابعة من التآمر و الكيد للإسلام و المسلمين فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) صحوة إسلامية مباركة و رجوعاً إلى الله، بعد أن أصاب العالم الإسلامي اليأس و القنوط، و أصابته خيبة الأمل في تجارب الفكر الأوروبي الفاشلة من ديمقراطية و اشتراكية و تقدمية و قومية ووطنية، و ما إلى ذلك من تلك الشعارات الخلابة و المبادئ الغربية الوصفية التي حاول الغرب زرعها مكان المبادئ و الأسس الإسلامية السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، فأخذ بعضهم يعود إلى الله، و لقد تمثلت هذه الصحوة في الدعوة لأن يعيش المسلمون إسلامهم في جوهرة و قيمه الخالدة، و أن ينطلقوا منه لمعالجة شئون عصرهم، و نتيجة لذلك برزت مع نهاية القرن الرابع عشر الهجري (العشرين ميلادي) مظاهر صحوة جديدة تهدف إلى الرجوع إلى الإسلام، و من مظاهرها تخرج شباباً ملتزماً و متمسكاً بعقيدته الإسلامية رغم دراسته مناهج التعليم في المدارس و المعاهد و الجامعات التي أنشأها دعاة التغريب، و قد بدأ ذلك في أوساط المثقفين من الأطباء و المعلمين و المهندسين و طلاب الجامعات، ثم بدأ الاهتمام بجامعات التراث الإسلامي، فعلا شأن الجامعات الإسلامية و أقبل عليها الطلاب من جديد بعد أن كانوا عازفين عنها في الماضي، و بدأت تنافس بل تفوقت في أحيان على الجامعات العلما نية و أصبحت مناراً يرتاده الطلاب من شتى أنحاء العالم الإسلامي، و أمثلة الجامعات كثيرة منها: جامعة الأزهر و الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة و جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض و جامعة أم القرى.

و حتى وسائل الإعلام التي كانت في يوم من الأيام حكر اً لفكر العلمانيين و المستغربين أصبحت في أحيان كثيرة منابر للدعوة الإسلامية، و مناقشة مشاكل الإسلام و سبل النهوض به، و اتسعت دائرة الكتاب الإسلامي أكثر انتشاراً في الأسواق، و أقبل أصحاب المطابع على طبعه و توزيعه، فازدادت العناية بالتراث الإسلامي و نشره، و قامت هيئات ومؤسسات من أجل ذلك التراث، و لعل الزائر إلى أي من معارض الكتاب في أي بلد إسلامي (خاصة في البلاد العربية) يلحظ كثرة الكتب الإسلامية من كتب التراث ،و المؤلفات الحديثة.

و لعل كل ذلك يشير إلى بروز ظاهرة جديدة هي الاعتزاز بالفكر الإسلامي، و بدايات عودة الثقة بالنفس المسلمة من جديد ، إذ بدأ المفكرون المسلمون ينتقلون مثلاً من دور الدفاع عن دينهم و قيمهم، و عن رد الشبهات إلى رد الشبهات إلى دور التحدي، و من مرحلة "النظرة الاعتذارية" و الاستحياء إلى مرحلة عرض الفكر الإسلامي و المبادئ الإسلامية كما هي في ثقة و اعتزاز، و أصبح الكتاب و الباحثون المسلمون يعرضون حقائق الإسلام كنظام شامل في حد ذاته، لا حاجة له في المقارنة بأي نظام آخر، خاصة عندما اتضحت لهم مثالب النظم الوضعية السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، و فشلها التام في حل مشاكلهم و مواجهة التحديات التي تواجههم.

و بدأ المسلمون يعون مشاكلهم المتمثلة في قضايا التخلف و الجهل و المرض، و بدؤوا يعقدون المؤتمرات و الندوات لمناقشتها و إيجاد الحلول لها، و أخذت الرؤى تتضح أمامهم فعرفوا خصومهم: الاستعمار و الصهيونية و الرأسمالية و الشيوعية و غيرها من النظريات الغربية الوضعية و العلمانية، و بدؤوا يدركون و يتنبهون لما يحاك ضدهم من مؤامرات، و يعلمون جاهدين للوقوف أمامها.

و كل هذه و غيرها مظاهر للصحوة الإسلامية و للالتزام بالإسلام، و محاولة إعادته من جديد إلى شتى مناحي الحياة ليقوم بدوره كاملاً فيها، حتى تتجه الحياة وجهة إسلامية من حياتها، و فيما يلي أبرز مظاهر تلك الصحوة المعاصرة بإيجاز:

١- منظمة المؤتمر الإسلامي:

أدرك بعض قادة الإسلامية أن ضعفها يكمن في فرقتها و تشتتها، و أن قوة الأمة لن تكون إلا عن طريق وحدتها و تضامنها و عودتها إلى مبادئ دينها الحنيف، خاصة و أنه قد جربت كل المذاهب و النظريات السياسية الأوروبية، و لم تجد فيها نفعاً و لا حلاً لمشاكلها، بل على العكس فقد زادت من مصاعبها، و واجهتها بمصاعب و تحديات جديدة، و من ثم فقد قامت دعوات و حركات شعبية قوية في العالم الإسلامي تنادي بضرورة تضامن المسلمين، و بضرورة العودة إلى الإسلام من جديد ليكون منهاجاً و نظاماً يحكم كافة شئون المسلمين الحياتية، و ليكون أساساً لوحدة الأمة الإسلامية، خاصة و أن المسلمين قد جربوا شتى أشكال الو حدة القائمة على غير أسس إسلامية مثل أشكال التكتلات الإقليمية و القومية و الاقتصادية دونما نجاح، فقد حاولت بعض الدول المسلمة مثل تركيا و إيران و باكستان تحقيق شيء من الوحدة بينها عندما انضمت إلى "الحلف المركزي"، و حاولت الدول العربية أن توحد صفوفها عندما انضمت إلى "الجامعة العربية"، ثم حاولت دول كثيرة أخرى نفس الشيء عندما انضمت إلى "حركة عدم الانحياز" أو إلى غيرها من المنظمات الرامية إلى الوحدة، و لكن دون أن تحقق الأمة الإسلامية هدف الوحدة، و كان عليها أن تتجه إلى سبيل آخر هو سبيل الاعتماد على الذات، و أن تحاول إيجاد التضامن بجهود ذاتية داخلية، الأمر الذي دعا بعض دولها و قادتها إلى الدعوة إلى إنشاء منظمات إسلامية هدفها تحقيق وحدة و تضامن المسلمين بالتدريج و بالسبل المتاحة لدول العالم الإسلامي، فقامت منظمة المؤتمر الإسلامي.

و كان قيام هذه المنظمة تتويجاً لجهود رسمية و شعبية في العالم الإسلامي لعبت المملكة العربية السعودية و المخلصين من أبناء الأمة دوراً بارزاً في إنجاحها.

و بدأت هذه الجهود بعقد عدة مؤتمرات : مثل مؤتمر بيت المقدس الإسلامي في سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) و مؤتمر كراتشي في سنة ١٩٤٩ و ١٩٥١م، و اجتماع مقديشو في عام ١٩٦٤م، و كان هدفها كلها محاولة معالجة مشكلات العالم الإسلامي السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و تعززت مثل هذه الدعوات، و تطورت إلى الدعوة لإقامة "تجمع إسلامي دولي" كانت المملكة العربية السعودية من أول الداعين له في الستينات من القرن الميلادي الفائت.

و قد واجهت هذه الدعوة معارضة من بعض الدول العربية و الإسلامية و الدول الكبرى مثل الاتحاد السوفيتي آنذاك لأسباب أيديولوجية و سياسية مختلفة، حيث كانت تتوزع أهواء قادة الدول الإسلامية و العربية، فالستينات كانت فترة ازدهار الفكر الاشتراكي و الثوري في المنطقة الإسلامية، و رغم كل ذلك استمرت المحاولات و الدعوات الرامية إلى إيجاد نوع من الوحدة بين المسلمين حتى وقوع نكبة يونيو ١٩٦٧م التي خسر فيها العرب معركتهم ضد دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل)، حيث قويت فكرة التجمع الإسلامي بين قادة المسلمين عرباً و غير عرب، ثم تبلورت الفكرة في دعوة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية لاجتماع القمة الإسلامية بالرباط في عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) الذي جاء كرد فعل على الجريمة الصهيونية في إحراق المسجد الأقصى، و في ذلك المؤتمر تقرر إنشاء منظمة العالم الإسلامي كأول تجمع إسلامي رسمي.

و قد تم إقرار ميثاق المنظمة في المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في جدة عا م ١٣٩٣هـ (١٩٧٢م) الذي اشتركت فيه ثلاثون دولة إسلامية، و قد تزايد عدد أعضاء المنظمة حتى شارف على ما يربو على الخمسين دولة ، و تهتم المنظمة بالمسلمين في جميع أنحاء العالم سواء كانوا أغلبيات أو أقليات مسلمة، و تقرر المنظمة في ميثاقها أن الإسلام هو العامل الأقو ى في تقارب و تفاهم و تضامن الشعوب الإسلامية، بل إن العقيدة الإسلامية عامل من العوامل المهمة لتحقيق التقدم و الرفاهية بين أبناء البشر.

أهداف المنظمة:

تسعى منظمة المؤتمر الإسلامي إلى تحقيق الأهداف التالية:

١ - تعزيز التضامن الإسلامي بين الدول الأعضاء.
٢ - دعم التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و العلمية و المجالات الحيوية الأخرى، و التشاور بين الأعضاء في المنظمات الدولية.
٣ - العمل على محو التفرقة العنصرية، و القضاء على الاستعمار في جميع أشكاله.
٤ - اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام و الأمن الدوليين القائمين على العدل.
٥ - تنسيق العمل من أجل العمل على سلامة الأماكن المقدسة و تحريرها و دعم كفاح الشعب الفلسطيني و مساعدته على استرجاع حقوقه و تحرير أرضيه.
٦ - دعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها و استقلالها و حقوقها الوطنية.
٧ - إيجاد المناخ الصحيح لتعزيز التعاون و التفاهم بين الدول الأعضاء و الدول الأخرى.

و قد تبنى الملك فيصل آل سعود (يرحمه الله) الدعوة إلى التضامن الإسلامي للوقوف أمام المخططات الاستعمارية و لم شعت المسلمين، و مجابهة الغزو الفكري بجميع أشكاله، و قام من أجل ذلك بعدة جولات في معظم البلاد الإسلامية، كما أرسلت المملكة العربية السعودية عدة بعثات لأفريقيا من أجل مساعدة المسلمين هناك، و استقبلت المئات من الطلاب في جامعاتها، و كان نتيجة هذا المجهود:

١ - تبهت الدول الأفريقية للخطر الصهيوني بعد اتصالات الملك فيصل بها، فقطعت معظ مها علاقتها السياسية مع الكيان الصهيوني، و انقلب العديد منها إلى تأييد الحق الإسلامي في فلسطين و غيرها.
٢ - أنشيء البنك الإسلامي للتنمية ليسد الفراغ في مساعد الدول الإسلامية النامية ، و ليقدم المساعدات لها على أسس خالية من المعاملات الربوية.
٣ - أنشئت الأمانة العام ة للدول الإسلامية بجدة بعد انعقاد عدة دورات لملوك و رؤساء الدول الإسلامية (منظمة الدول الإسلامية)، و عقدت عدة مؤتمرات قمة إسلامية أسفر الثالث منها على تأسيس مجمع الفقه الإسلامي في مكة.
٤ - أنشيء المجلس الأعلى للمساجد، و بدأ العمل في التنسيق بين مؤسسات الدعوة في العالم الإسلامي و رعاية المساجد و إعداد الدعاة.
٥ - تبني القضايا الإسلامية و مد يد العون للأقليات المسلمة التي تعاني الظلم و الاضطهاد، و أنشئ معهد شئون الأقليات المسلمة التابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة (و لكنه انتقل فيما بعد إلى لندن) لخدمة الأقليات المسلمة و دراسة مشاكلها.
٦ - و أنشئت إذاعة نداء الإسلام في مكة المكرمة لخدمة قضايا الأقليات المسلمة أيضاً، و أصبحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تجمعاً كبيراً لأبناء المسلمين و مكاناً لإعداد الدعاة.
٧ - وافقت منظمة العالم الإسلامي في مؤتمرات لاحقة على إقامة ما يلي:
   أ - -صندوق التضامن الإسلامي.
   ب - صندوق القدس.

ت - اتحاد المصارف الإسلامية.
ث - الغرفة الإسلامية للتجارة و الصناعة و تبادل السلع.
ج - البنك الإسلامي للتنمية.
ح - وكالة الأبناء الإسلامية الدولية.
خ - منظمة إذاعات الدول الإسلامية.
د - المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و التكنولوجيا و التنمية في جدة.
ذ - اللجنة الدولية للتراث الإسلامي.
ر - المركز الإسلامي للتنمية التجارية في طنجة.
ز - المركز العلمي للتربية و التعليم الإسلامي في مكة المكرمة.
س - المركز الإسلامي للتدريب التقني و البحوث في داكا بالسنغال.
ش - اللجنة الإسلامية الدولية للقانون.
ص - مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية في استانبول.

كما وضعت المنظمة المبادئ العامة التي تحكم العلاقات بين الدول الأعضاء في الآتي : المساواة بين الأعضاء ، و احترام سيادة أراضي كل عضو، و الامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها ضد وحدة و سلامة كل عضو، و حل الخلافات بالطرق السليمة.

كما اشتمل ميثاق الم نظمة على هيئات المؤتمر الإسلامي التي تتكون من: مؤتمر ملوك و رؤساء الحكومات: ينعقد مرة كل ثلاث سنوات، و مؤتمر وزراء الخارجية: يجتمع كل سنة أو عند الحاجة في أي بلد من البلدان الأعضاء، و أخيراً الأمانة العامة للمؤتمر و المؤسسات التابعة لها: و مقرها جدة بالمملكة العربية السعودية.

و للمنظمة (كما أسلفنا) عدة مؤسسات منتشرة بين جدة و الرياض و دكا و كراتشي و استانبول و غيرها.

٢- رابطة العالم الإسلامي:

و هي منظمة إسلامية عالمية و شعبية، تمثل كافة الشعوب الإسلامية في أنحاء العالم، و قد انبثقت عن المؤتمر الإسلامي العام الأول الذي عقد بمكة المكرمة في ١٤ ذي الحجة عام ١٣٨٢هـ (مايو ١٩٦٢م) و مقرها مكة المكرمة، و الرابطة معترف بها دولياً باعتبارها عضواً في منظمة الأمم المتحدة ضمن المنظمات غير الحكومة، كما أنها عضو في منظمة "اليونسكو" و في صندوق الطفل العالمي بهيئة الأمم المتحدة.

و للرابطة "مجلس تأسيسي" هو الذي يرسم سياستها و يحدد أهدافها، و يتكون المجلس من ست و خمسين عضواً من العلماء و المفكرين المسلمين، و يجوز زيادة هذا العدد و ذلك بترشيح من الأمين العام و موافقة المجلس التأسيسي و السلطة التنفيذية. و في الرابطة "أمانتها العامة" و مقرها مكة المكرمة أيضاً ، و الأمين العام هو المسئول عن التنظيم و التكوين الإداري و المالي للرابطة إلى جانب مسئولياته التنفيذية ، و هو كذلك حلقة الاتصال المباشر بين الرابطة و مختلف الجهات و الهيئات العالمية، و هو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة و رفع التقارير عن تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي الذي يجتمع مرة واحدة في موسم الحج من كل عام، و قد يجتمع أكثر من مرة في العام للحالات الاستثنائية.

و للرابطة عدة إدارات مثل: إدارة المؤتمرات و المجلس التأسيسي، إدارة الثقافة الإسلامية، إدارة الصحافة و النشر، إدارة الأقليات المسلمة ، و غيرها.

أهداف الرابطة:

١ - تبليغ دعوة الإسلام و شرح مبادئه و دحض الشبهات عنه.
٢ - التصدي للتيارات و الأفكار الهدامة.
٣ - الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحق مصالح المسلمين.
٤ - دعم الجمعيات الإسلامية التي تعمل على خدمة المسلمين و نشر الدين الإسلامي في كافة أنحاء العالم.
٥ - تقديم الخدمات للمسلمين في جميع دول العالم.

و لكي تتمكن الرابطة من تحقيق أهدافها تلك فإنها تستخدم العديد من الوسائل مثل:

١ - العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد الإسلامية.
٢ - تشجيع الدعاة المسلمين مادياً و معنوياً للعمل على نشر الدين الإسلامي.
٣ - دعم المنظمات و المؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة.

٤ - العمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي مما قد يلحق بها من تأثيرات و أفكار غريبة عن روح الإسلام.
٥ - نشر التعليم الإسلامي بالمساهمة في إنشاء المدارس و المعاهد الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي.
٦ - دراسة مشاكل الأقليات المسلمة و التعرف على مطالبهم و مد يد المساعدة لهم.
٧ - الاستفادة من مناسك الحج إلى أبعد مدى ممكن في مجال التوعية الإسلامية، و ذلك عن طريق المحاضرات و الندوات الإسلامية التي تقيمها الرابطة في موسم الحج.
٨ - العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة حتى تكون لغة التفاهم بين الجميع.
٩ - تشجيع التأليف الإسلامي، و الاعتناء بالكتب التي تشرح حقائق الإسلام الناصعة، و تشجيع المؤسسات الصحفية و دور النشر التي تخدم الدعوة الإسلامية.

أنشطة الرابطة:

للرابطة مكاتب فرعية في مختلف دول العالم، و هي معترف به ا رسمياً من قبل سلطات تلك الدول ، بل إن العديد منها يتمتع بالامتيازات و الحصانات الدبلوماسية، و قد بلغ عدد مكاتب الرابطة في جميع أنحاء العالم ٢٥ مكتباً حتى عام ١٤٠٥هـ .

و للرابطة نشاط مقدر في تقديم المساعدات المالية و العينية للاجئين المتضررين من الكوارث، و قد أنشأت لهذا الغرض "هيئة الإغاثة الإسلامية" و مقرها مكة المكرمة، و لها عدة مراكز في عدد من البلدان الأفريقية و الآسيوية.

كما أن للرابطة دوراً في نشر الفكر و الوعي الديني، أنشأت من أجله مطبعة خاصة تقوم بطباعة الكتب و النشرات في هذا المجال،و قد اهتمت الرابطة بترجمة معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات، و أنشأت لذلك إدارة الشؤون و أبحاث القرآن الكريم وترجمة معانيه.

و تصدر الرابطة مجلتين عربية و إنجليزية، بالإضافة إلى جريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية، و كتاب دعوة الحق الشهري، و تقوم الرابطة بتشجيع عدد من الصحف الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

٣- المؤسسات الثقافية والتعليمية الإسلامية:

أ- المنظمة الإسلامية للتربية و الثقافة (إيسيسكو):

أنشأتها منظمة المؤتمر الإسلامي تنفيذاً لتوجيهات قادة الدول الإسلامية، و هي منظمة متخصصة تعمل في ميادين العلوم و الثقافة، و لها شخصيتها القانونية الاعتبارية المستقلة، و لها أجهزتها الخاصة بها و هي:

١ - المؤتمر العام: و هو هيئتها العليا، و يضم وزراء الثقافة و العلوم في دول منظمة المؤتمر الإسلامي.
٢ - الإدارة العامة: و على رأسها مدير عام منتخب من المؤتمر العام.

و من أهم أهدافها: حماية الهوية الإسلامية و تقويتها و بخاصة في أوساط الأقليات المسلمة، و الدفاع عن الإسلام و عرضه بالطريقة الصحيحة، و العمل على محو الأمية بين المسلمين و تطوير المدارس القرآنية، و توثيق روابط الأخوة بين الأعضاء و الاهتمام بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بهدف تعلم الدين

ب – المركز العالمي للتعليم الإسلامي:

أنشئ هذا المركز بموجب توصية صدرت عن المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد في عام ١٩٧٧م بمكة المكرمة.

و من أهداف هذا المركز:

١ - وضع الكتب و المناهج الدراسية على أسس من التعاليم الإسلامية بما يحقق غرس القيم السليمة في نفوس الناشئة.
٢ - ترسيخ القيم الإسلامية و تدعيمها بين الناس عن طريق مناهج التعليم ذات السمة الإسلامية.
٣ - تغيير المفاهيم العلمانية المعادية للدين و إحلال مفاهيم إسلامية في شتى فروع المعرفة.
٤ - العمل على تحقيق توصيات ما يعقد من مؤتمرات للتعليم الإسلامي

جـ - الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية:

هو مؤسسة عالمية للتربية و الثقافة الإسلامية هدفها نشر الثقافة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي و خارجه، و قد أنشئ بموجب قرار مؤتمره التأسيسي الذي عقد في الرياض في الفترة مابين ٢٢ – ٢٦ ربيع الأول ١٣٩٦هـ الموافق ٢٢ -٢٦ مارس ١٩٧٦م، و

مدينة الرياض هي مقر أمانته العامة، و لها مكاتب في كل من جدة و القاهرة و الخرطوم و لندن و نيويورك، و يتكون الاتحاد من عدد المؤسسات التعليمية التي تعمل على نشر اللغة العربية و الثقافة الإسلامية على المستوى المحلي و العالمي، و يشترط فيها أن تكون مؤسسات خاصة من حيث الإدارة و التوجيه، و أن يكون تلاميذها من المسلمين، و أن تعلم اللغة العربية كمادة أساسية في منهجها، و كذلك أن تجعل المبادئ الإسلامية أساس التربية و الثقافة فيها، و أن تهيئ للتلاميذ بيئة إسلامية من حيث العقيدة و الخلق.

و تتمثل أهداف الاتحاد فيما يلي:

١ - نشر اللغة العربية، و رفع مستوى تعليمها في أنحاء العالم باعتبارها لغة القرآن الكريم.
٢ - الحاجة إلى التعاون الاقتصادي:

يعاني العالم الإسلامي اليوم من الفقر ، و يعيش سكانه حالة محزنة من الحرمان و التخلف الاقتصادي رغماً عن الثروات و الإمكانات الاقتصادية الهائلة التي يتمتع بها، فأرضه واسعة تربو على أربعين مليون كيلومتر مربع، و ثرواته الزراعية و الحيوانية و السمكية و المعدنية كبيرة، و طاقته البشرية ضخمة، و هو زاخر بالأيدي العاملة الكافية للتنمية الاقتصادية، و فوق هذا كله هناك عقيدته الإسلامية التي توجهه التوجيه الصحيح إلى حسن الاستفادة من نعم الله تعالى إن هو تمسك بها ، و مع هذا فالمسلمون يعيشون "في مستنقع الفقر الذي يجر وراء المرض و الجهل و التخلف" الذي يهيئ السبيل للمؤسسات التنصيرية التي انتشرت في بلاد المسلمين لمحاولة هدم عقيدة الأمة و تنصير أبنائها.

و هناك تباشير خير يشهدها العالم العربي اليوم و لعلها تكون المثال الذي يحتذى ، أو النواة لوحدة اقتصادية أكبر ، تلك التباشير هي قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربي الذي تأسس عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) و الذي يمشي بخطوات ثابتة على طريق التعاون و التكامل الاقتصادي، و نرجو أن يكون خطوة أولى تسير على هديها بقية دول العالم الإسلامي.

و نحن نشهد اليوم بدايات حادة لترميم البناء الاقتصادي لدول العالم الإسلامي المتمثل في جهود منظمة المؤتمر الإسلامي التي أعارت التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء أهمية كبيرة، فمثلاً أنشئ في عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) "البنك الإسلامي للتنمية" و "صندوق التضامن الإسلامي" الذي تسهم فيه الدول الأعضاء كل حسب قدراتها الاقتصادية، و قد قامت المملكة العربية بمجهود رائد في هذا المجال، و تبرعت بما يساوي ثلث رأس مال البنك، فأسهمت بمبلغ ألف مليون دولار، و دعت الدول القادرة من أعضاء المؤتمر الإسلامي بتخصيص مبلغ لا يقل عن ثلاثة آلاف مليون دولار أمريكي لتمويل مشروعات التنمية في الدول الإسلامية .

المحاضرة الثانية عشرة : قضايا إسلامية معاصرة :

الأقليات المسلمة :

و يقصد بالأقلية المسلمة مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطان دولة غير مسلمة في وسط أغلبية غير مسلمة، أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد أو الثقافة الغالبة، و من ثم لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مثله و مبادئه، و قد يعاني المسلمون في حالات كثيرة من جهود ترمي إلى "علمنتهم" و إبعادهم عن مثلهم الدينية، و إدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة.

و تعريف الأقلية المسلمة لا يكون من حيث المعيار العددي فقط و إنما من حيث وجودها الفاعل في الأجهزة السياسية و المدنية، و قد يشكل المسلمون في دولة ما أغلبية عددية و لكن ليس لهم نفوذ سياسي و اقتصادي فاعل أو دور مؤثر في صناعة القرارات المصيرية ،و هناك من الكتاب من يرى أن المعيار العددي هو من أدق المعايير في تحديد ما يطلق عليه دولة إسلامية، و ما يطلق عليه أقلية مسلمة في دولة غير إسلامية، إذ يرى أولئك أن الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠ % من السكان هي دولة إسلامية، و إذا قل المسلمون عن تلك النسبة المئوية كان المسلمون أقلية في الدولة المعنية، و العقبة في هذا التعريف هو انعدام الإحصاءات السكانية التي يمكن الاعتماد عليها، و كذلك غياب الانتماءات الدينية للسكان في الإحصاءات إن وجدت ، و سواء أخذنا بهذا التعريف أو ذاك للأقلية المسلمة فإن تلك الأقلية تبقى جماعة مسلمة تعيش في مجتمع و بيئة غير إسلامية.

و التقديرات العامة قد تقترب أو تبتعد عن الحقيقة، فمثلاً هناك بعض التقديرات المتحفظة التي تقول إن واحداً من بين كل ثلاثة مسلمين في العالم اليوم هو من ضمن أفراد الجاليات الإسلامية المنتشره في أنحاء العالم.

و ضمن احصائيات العام ٢٠٠٠ م فإن واحدا من كل أربعة أشخاص في العالم سيكون مسلماً، و كذلك سيكون من بين كل اثني عشر شخصاً في العالم فرد ينتمي للاقليات المسلمة.

و الآن هناك تواجد إسلامي في نحو تسعين دولة من دول العالم بينهما أربعة و أربعين دولة إسلامية (أي ذات أغلبيات مسلمة) و البقية (٤٦) دولة أقليات مسلمة، فالمسلمون في قارة آسيا مثلاً يقدرون بحوالي ٨٩٢ مليون مسلم منهم ٢٥١ مليون مسلم يعيشون كجماعات و أقليات مسلمة، كما أن عدد الأقليات المسلمة في أوروبا يقدر بحوالي ٦٦ "ستة و ستون" مليون نسمة من مجموع سكان أوروبا البالغ عددهم ٧٣٢ مليون نسمة، و وصل عدد المسلمين في القارة الأمريكية و استراليا إلى حوالي ١٣ مليون مسلم، و تقول هذه الإحصائية الصادرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي أن عدد المسلمين في أفريقيا يقدر بحوالي ٣١٦ مليون مسلم من مجموع سكان القارة البالغ عددهم ٦٥٢ مليون نسمة، و أن ٤٤ مليون مسلم في قارة أفريقيا يعيشون كأقليات مسلمة.

و هناك تقديرات أخرى تجعل عدد الأقليات المسلمة العائشة خارج حدود العالم الإسلامي حوالي ٣٧٤ مليون نسمة، و أن الأغلبية منهم تعيش في قارة آسيا.

و يختلف توزيع المسلمين في القارة الواحدة من دولة إلى أخرى، ففي آسيا تعيش معظم الأقليات المسلمة في الصين و الهند، ففي الصين يعيش حوالي ١٠٠ مليون مسلم، و إن كانت بعض المنظمات الإسلامية ترى أنهم أكثر من ذلك بكثير ، و تقول الإحصائيات الهندية الرسمية أن عدد المسلمين في الهند حوالي ٩٠ مليون مسلم، و لكن المسلمين أنفسهم يعتقدون أن عددهم حوالي ١٥٠ مليون مسلم.

١- الأقليات المسلمة في أوروبا:

و لابد من دراسة الأقليات المسلمة في أوروبا في إطار العلاقات التاريخية بين الإسلام و المسيحية عبر العصور ، منذ الوجود الإسلامي في إسبانيا، ثم العلاقات العثمانية الأوروبية، ثم مرحلة الوجود الاستعماري الأوروبي في البلدان الإسلامية، و نتج عن كل ذلك ظاهرة "المواجهة بين الأسلامة و أوروبا" و التي بلغت ذروتها أيام الحروب الصليبية و المرحلة الاستعمارية و تتجلى الآن في الدعوات الأصولية الحالية في عالم الإسلام و التي تخشاها أوروبا و تظنها دعوات موجهة ضدها، و تولد عن هذه " المواجهة " سوء فهم لازال يحكم العلاقة بين الأكثرية الأوروبية و الأقليات المسلمة التي تعيش في وسطها ، و دراسة الوضع الأوربي أو البيئة التي تعيش فيها تلك الأقليات المسلمة سيمكننا من فهم أعمق للظروف الحياتية و المعيشية لتلك الأقليات و المشاكل التي تواجههم، و ربما إيجاد السبل الصحيحة لحلها، إذ أن مثل تلك الدراسة ستضع قضية الأقليات تلك في محتواها الصحيح، فمحاولة فهمنا مثلاً للعلمانية الس ائدة في أوروبا و نظرتها للدين، و كذلك فهمنا لسلوك المسلمين في تلك المجتمعات الأوروبية الذين يحاولون العيش حسب مقتضيات دينهم في المأكل و المشرب و الملبس (حجاب النساء مثلاً)، و ممارسة عباداتهم مثل الصلاة في أوقات العمل و الدراسة، و هي كلها ممارسات جعلت الأوروبيون ينظرون إليها بشيء من الاستغراب.

و المسلمون في أوروبا يعانون من مشاكل عديدة أهمها خطر فقدان هويتهم الإسلامية، ثم شعورهم بأنهم غرباء عن المجتمع الأوروبي :غرباء في العقيدة و التقاليد و اللغة، و حتى في الشكل و العرق، و شعورهم بأن المجتمع الأوروبي يعاملهم و ينظر إليهم كغرباء أيضاً ، و يمارس ضدهم بعض التحزبات في العمل و السكن و الخدمات الاجتماعية و التعليم و اللغة و المواطنة، و هم يرون في تلك التحزبات و الحواجز عقبات رئيسة تقف في طريق ممارستهم لحياة طبيعية في المجتمعات الأوروبية و التي تدعي حماية الحقوق الإن سانية، و من ثم فالمسلمون يشعرون بأنهم يعيشون على أطراف ذلك المجتمع في عزلة دينية و فكرية عنه، و كنتيجة للمعاملة التي تلقاها تلك الأقليات المسلمة في أوروبا على يد الأغلبية فإن شعورها بأنها "أقلية" مغلوبة على أمرها يتزايد باستمرار، و هو ما يطلق عليه البعض "عقدة الأقلية"، و لعل هناك أسباباً أخرى لهذا الشعور مثل: البحث عن الجذور، و الحنين للأوطان، و عدم تقبل النساء للعادات و المثل السائدة في المجتمع الأوروبي، و حواجز اللغة.

٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا:

يشكل المسلمون في أفريقيا ثقلا ضخما لا يمكن تجاهله رغم ما به من ضعف ، فهناك خمس عشرة دولة إفريقية جنوب الصحراء تفوق نسبة المسلمين فيها ٧٠%، و الإسلام جبهة زاحفة بقوة في القارة الأفريقية، و لذلك لا غرو إذا احتدام الصراع بين النصرانية و الإسلام لتحويل قبلة القارة و دينها و حضارتها، و قد عمل النصارى وفقا لمخطط تصبح بموجبة أفريقيا قارة نصرانية في عام ٢٠٠٠م، و ها قد جاء هذا العام و لم يحدث ما خطط له النصارى، بل حدث عكس ما أرادوا، إذ أن يزداد انتشارا في القارة السمراء، و رغم ذلك فهناك أقليات مسلمة في أفريقيا تعاني من مشاكل و مصاعب معينة، و نحن إذ نعرف الأقلية المسلمة لا نعرفها من حيث المعيار العددي، و إنما من حيث إنها جماعات مستضعفة (رغم ثقلها العددي في بعض البلدان) لا تتمتع بوجود في السلطة السياسية و الخدمة المدينة، و ليس لها نفوذ اقتصادي فاعل أو دور مؤثر في صياغة القرارات المصيرية، فهم قابعون تحت سيطرة حكومات أقلية نصر انية تتحكم في مصائرهم و تعمل في معظم الأحيان على إبقائهما في حالة من التخلف و الانحطاط، و من ثم فإنه تلك الأقليات المسلمة في أفريقيا تواجه العديد من المشاكل و التحديات.

قضية فلسطين:

قيام دولة الصهاينة في فلسطين المسلمة في ١٥ مايو ١٩٤٨م كان نتيجة جهود كبيرة قامت بها الحركة الصهيونية السياسية بمؤازرة و دعم الاستعمار البريطاني الذي جثم على أرض فلسطين قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى عام١٩٤٨م .

أ - الصهيونية و فلسطين:

بدأ التحضير لاغتصاب فلسطين على أيدي الصهيونيين خمسين عاماً قبل إعلان دولة الكيان الصهيوني في فلسطين في مايو عام ١٩٤٨م و ذلك عندما أقر المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في **مدينة "بال"** بسويسرا في مايو عام ١٨٩٧م و حضره أكثر من مائتي يهودي الج اليات اليهودية في سبعة عشر دولة، مبدأ إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي يحميه القانون العام.

و يعتبر **ثيودور هرتزل** (يهودي مجري و مؤلف كتاب "الدولة اليهودية" (باللغة الألمانية)) أول من حول آمال العودة لدى اليهود إلى أرض الميعاد – فلسطين – من مجرد أمل و حلم ديني إلى هدف سياسي ينبغي الوصول إليه بشتى الوسائل و السبل، و قد أيد هذه الفكرة يهود قوميون آخرون . و قد قال هرتزل في كتابه المذكور بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في الأرجنتين أو في فلسطين تدعمه و تسنده بريطانيا، إدراكاً منه أن الحركة الصهيونية لن تبلغ أهدافها إلا بدعم من إحدى القوى الأوروبية الفاعلة، و ذلك واضح في البرنامج الصهيوني الذي وصفه مؤتمر "بال" و الذي يتلخص في النقاط الآتية:

١ - استيطان يهودي لفلسطين بشكل منظم و على نطاق واسع.
٢ - تأمين حق شرعي للاستيطان معترف به دولياً.
٣ - إنشاء منظمة دائمة لتوحيد جهود اليهود من أجل خدمة القضية الصهيونية.
٤ - اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على الضمانات الحكومية اللازمة لتحقيق أهداف الصهيونية.
٥ - تغذية الشعور و الوعي القومي اليهودي.

و يتضح من برنامج مؤتمر "بال" أن الصهيونية حركة عنصرية ذات طبيعة استعمارية تهدف إلى اقتلاع يهود العالم من مجتمعاتهم التي يعيشون فيها عبر هجرات متصلة لخلق دولة قومية يهودية في فلسطين، و معنى ذلك أن الصهيونية قررت عامدة تحويل اليهود المضطهدين في المجتمعات الغربية إلى مهاجرين إلى فلسطين، ثم مستوطنين فمحتلين لأراضي السكان المحليين بعد طردهم منها.

و لم يكن غريباً أن يتجه "هرتزل" إلى القيصر الألماني ثم إلى السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني" لنيل سندهما، و عندما فشل في ذلك وجه جهوده الدبلوماسية نحو انجلترا حيث كانت الحركة الصهيونية تلقى التشجيع و المؤازرة من بعض كبار الساسة البريطانيين، و قد توجت جهود "هرتزل" تلك في ٢ نوفمبر ١٩١٧م حينما أصدر وزير خارجية بريطانيا **"بلفور"** الوعد الشهير القاضي بمساندة بريطانيا لإقامة وطن يهودي قومي في فلسطين، و الوعد عبارة عن رسالة بعث فيها آرثر بالفور (وزير الخارجية الذي عمل بحماس لصالح الصهيونية) إلى اللورد روتشيلد الثري الصهيوني المعروف.

و غني عن الذكر أنه لا حق لليهود – تاريخياً – في أرض فلسطين كما يدعي الصهيونيون ، ففلسطين منذ السنة الخامسة عشرة الهجرية أرض إسلامية، و هي قبل ذلك التاريخ أرض عربية و ظلت كذلك على مدى خمسة آلاف عام، و الواقع أن الوجود اليهودي في فلسطين لم يتجاوز المائة و الأربعين سنة و كان ذلك على فترتين:

١ - بين عام ١٠٠٠ قبل الميلاد و حتى عام ٩٢٧ قبل الميلاد.
٢ - بين سنتي ١٤٢ قبل الميلاد و حتى سنة ٧٥ قبل الميلاد.

و واضح أنهما فترتان قصيرتان و على مدى زمني متباعد.

أما الأسباب التي دعت إلى نجاح اليهود لاستلاب الوطن الإسلامي في فلسطين فهي عدة من أهمها:

أ - التخطيط الصهيوني و الصبر على المخطط: أشرنا إلى هدف الصهيونيين في فلسطين هو استيطانها عن طريق تنمية الهجرة و شراء الأرض و البحث عن الحماية الدولية و استغلالها لمصلحتهم، فهذا هو هدفهم و مخططهم الذي صبروا في سبيل الوصول إليه رغم الأحداث الجسيمة التي تواجه اليهود في شتى بقاع العالم مثل : الاضطهاد الذي لقوه من ألمانيا النازية و غيرها من دول أور وبا، و المقاومة العربية التي كان يلقاها مشروعهم و نشاطهم الاستيطاني و التي لقيها مشروعهم الصهيوني من قبل الدولة العثمانية و سلطانها عبد الحميد و الذي كان رافضاً لهجرة اليهود إلى فلسطين حتى ساعة خلعه من الحكم.

ب – غياب التخطيط لدي الأمة الإسلامية: و في مقابل التخطيط للحكم من قبل الحركة الصهيونية كان قادة الأمة الإسلامية يفتقدون التخطيط في محاولاتهم الوقوف أمام المطامع الصهيونية في فلسطين، و كانت مواقفهم لا تخرج عن كونها ردود أفعال لبعض ما كان يقوم به الصهيونيون من عمل منظم بغرض الهيمنة على أراضي فلسطين و طرد أهلها منها ثم إقامة دولتهم فيها، و رغم توافر الإخلاص لدى بعض قادة الأمة الإسلامية و الكثير من أفرادها إلا أن أفعالهم لم تتعد الاستنكار و الشجب و التظاهر، و غير ذلك من مظاهر الرفض.

جـ - إبعاد الإسلام عن المعركة : كان واضحاً للصهيونيين و حلفائهم الاستعماريين أن الإسلام هو الخطر الأول لو أدخل معترك القضية الفلسطينية، و ذلك بما ينطوي عليه من دعوة للجهاد و اعتباره فرض عين إذا ما غزيت ديار الإسلام، و بما يدعو إليه من تخطيط و إعداد معنوي و عسكري: {و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم} (ألأنفال: ٦٠) و غير ذلك من الأوامر الربانية التي تدعو لمحاربة أعداء الله و بخاصة اليهود، الذين كانوا و ما زالوا أشر الناس عداوة للإسلام و المسلمين.

د – إقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة: عندما أدرك الاستعمار البريطاني و كذلك الصهيونيون بسالة الشعب الفلسطيني و تصميمه الذود عن أرضه و مقدساته، قرر إقصاء عن المعركة و إدخال العرب و الجيوش العربية إلى أطراف تلك المعركة مع علمهم و إدراكهم لمدى ضعف تلك الجيوش و تخاذلها، و كان ذلك عندما قامت سبعة جيوش عربية لتخوض المعركة ضد الصهيونيين بالنيابة عن الشعب الفلسطيني، و كانت النتيجة التي خطط الاستعمار الغربي سلفاً أن هزمت تلك الجيوش و سلمت أراضي فلسطين جزءاً جزءاً إلى دولة إسرائيل المزعومة ، و عندما انتهت حرب فلسطين ١٩٤٨م تلك كان الشعب الفلسطيني قد تم إقصاؤه حربياً عن المعركة، و بعد ذلك إقصاؤه سياسياً عنها، فتحولت قضية فلسطين أمام هيئة الأمم المتحدة إلى نزاع بين دول ذات سيادة : دولة عربية مع دولة الكيان الصهيوني . أضف إلى ذلك عمليات التصفية و الإبادة التي تعرضت و تتعرض لها القيادات الفلسطينية خاصة المقاتلة منها على أيدي بعض الحكام العرب ، فهناك المذابح التي تعرضت لها تلك العناصر الفلسطينية الوطنية في أيلول الأسود في الأردن و في تل الزعتر.

ب - مرحلة العمل الصهيوني – البريطاني لتهويد فلسطين (١٣٣٧ – ١٣٥٨)هـ / (١٩١٨ – ١٩٣٩)م:

تعتبر هذه المرحلة من أدق المراحل القضية الفلسطينية ، إذ تمكنت بريطانيا خلا لها من فرض انتدابها على فلسطين، و فيها وقعت البلاد العربية في الشام و العراق تحت قبضة الاستعمار البريطاني و الفرنسي، و تمكنت الصهيونية و العلمانيون من أبناء الأتراك من إسقاط الخلافة العثمانية و إلغائها، و تبنت دول الحلفاء في مؤتمر السلام وعد بلفور، و تمكن الإنجليز من الانفراد بفلسطين يؤسسون لقيام دولة صهيونية فيها، و كان ذلك عن عدة طرق:

أ – تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين: تزايدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تحت الانتداب ، و شجعت السلطات البريطانية في فلسطين تلك الهجرة ففتحت لها الباب على مصراعيها ، فبعد أن كان عدد اليهود في فلسطين عام ١٣٣٩هـ (١٩١٩م) خمساً و خمسين ألفاً، تزايد حتى وصل في عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) إلى حوالي ٦٥٠ ألفاً، و رأى أهل فلسطين سيول المهاجرين اليهود الغرباء تغزو بلادهم دون أن يستطيعوا وقفها، و كان اليهودي يمنح الجنسية الفلسطينية قبل أن يطأ أرض فلسطين.

ب – انتقال ملكية الأراضي إلى المهاجرين اليهود: عملت الحكومة البريطانية على تشجيع انتقال ملكية الأراضي لليهود بحيث سنت القوانين و التشريعات التي تجعل الزراع الفلسطينيين في حالة من الفقر، بحيث يتخلون عن أراضيهم للوكالة اليهودية و المنظمات الصهيونية الأخرى التي عمدت إلى شراء تلك ا لأراضي الزراعية، مع العمل على طرد المزارعين الفلسطينيين منها و إحلال المستوطنات اليهودية مكانهم، كما أن الحكومة منحت اليهود أراضي واسعة مما كان أيام العثمانيين أملاكاً للدولة ليقيموا عليها مستعمراتهم ، فرفعت بذلك نسبة الملكية اليهودية للأراضي في عام ١٩٤٨م إلى ١٤%، بينما كانت النسبة في القدس لا تتعدى ٤%.

جـ - اعتراف بريطانيا بالوكالة اليهودية : اعترفت بريطانيا بالوكالة اليهودية و رئيسها **"حاييم وايزمان"** تشرف على أمور اليهود السياسية و التعليمية و الاقتصادية و العسكرية، فكانت دولة داخل دولة، في الوقت الذي حرمت فيه العرب أي إشراف عل أمورهم، كما عملت بريطانيا على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في أيدي يهود صهيونيين أو إنجليز يهود ، أو إنجلترا معروفين بتعاطفهم و مساندتهم للصهيونية من أمثال **"هربرت صموئيل"** المندوب السامي البريطاني في فلسطين في عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ليشرف بنفسه على تهويد فلسطين فازدادت الهجرة، حيث دخل اليهود المهاجرون فلسطين عن عدة طرق مستفيدين من قانون الهجرة الأول الذي أصدرته الحكومة البريطانية لي نظم عملية دخولهم رسمياً لفلسطين، الأمر الذي أدى إلى زيادة أعدادهم بعد أن كانوا أقلية.

و قامت حكومة الانتداب بتوفير الحماية الاقتصادية لليهود و ذلك بتقديم المساعدات المالية اللازمة للتنمية ، فخفضت رسوم المواد الخام التي تحتاجها الصناعة اليهودية من الخارج ، كما منحتهم امتيازات أخرى مثل السماح بتسليحهم، و تجفيف بحيرة الحولة، و الحصول على امتياز من الحكومة البريطانية لمدة سبعين عاماً لاستغلال مياه نهر الأردن و اليرموك عام ١٩٢٦م، و عدلت الحدود الشمالية لفلسطين لتسهيل عملية تحويل مجرى نهر الأردن، إضافة إلى كل ذلك مكنتهم حكومة الانتداب من الإدارات الحكومية في فلسطين، فمثلاً اعترفت باللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية و الإنجليزية، و منحت اليهود حق الإشراف عل شئونهم التعليمية، بينما ظلت شئون الفلسطينيين في أيدي الموظفين الإنجليز و اليهو .

ت - موقف أهل فلسطين:

أدرك أهل فلسطين من الوهلة الأولى أبعاد خطر تصريح بلفور الرامي إلى إقامة دولة يهودية في بلادهم فعارضوه بشدة، كما عارضوا انتداب بريطانيا على فلسطين، و تضمين وعد بلفور صك ذلك الانتداب آراء عرب فلسطين – كما صورتها المنشورات التي كانت تصدرها جمعياتهم مثل الجمعية الإسلامية المسيحية تتلخص في:

١ - وحدة سوريا و فلسطين – سوريا الجنوبية – جزء لا يتجزأ من سوريا.
٢ - الرفض بالسماح بأن تتحول فلسطين إلى وطن قومي لليهود.
٣ - التفريق بين اليهود الفلسطينيين و اليهود القادمين من الخارج، و اعتبار اليهود الفلسطينيين مواطنين يتمتعون بالحقوق و الواجبات التي يتمتع بها بقية سكان فلسطين.

و كان واضحاً للإدارة البريطانية العسكرية في فلسطين آنذاك أن عداء ال سكان الفلسطينيين للصهيونية عداء ذو جذور عميقة ، و أنه آخذ في التحول إلى عداء للبريطانيين، و أن فرض البرنامج الصهيوني بالقوة عليهم سيؤدي إلى انفجار خطير ، و أن الفلاحين كانوا أكثر استعداداً من سائر فئات المجتمع للثورة و التضحية، و ذلك للأضرار التي لحقت بهم بـرامج و مطامح الصهيونية، فقد قاطع اليهود اليد العربية العاملة في المستعمرات اليهودية، كما عارضوا برنامج القروض الزراعية للفلاحين.

و هكذا دخل الكفاح ضد الصهيونية و الاستعمار مرحلة جديدة، فعقدت مؤتمرات فلسطينية، كان أحدها المؤتمر الفلسطين ي الثالث في حيفا في ديسمبر ١٩٢٠م و الذي حضره ممثلون عن الجمعيات الإسلامية و المسيحية و الجمعيات الأخرى من مختلف أنحاء فلسطين، و أشار البيان الصادر عن ذلك المؤتمر إلى عدم شرعية الإدارة البريطانية لأنها تمارس سلطاتها دون مجلس تمثيلي، و اعترض الأعضاء على اعتراف الحكومة بالمنظمة الصهيونية هيئة رسمية، و باللغة العبرية لغة رسمية ، و كذلك استخدام العلم الصهيوني ، و قبول المهاجرين الصهيونيين ، و أعلنوا عن ميثاق وطني للحركة العربية في فلسطين يقوم على ثلاثة مبادئ:

١ - شجب السياسة الصهيونية التي تنطوي على إقامة وطن قومي لليهود، و المبنية عل تصريح بلفور.
٢ - رفض مبدأ الهجرة اليهودية.
٣ - إقامة حكومة تمثيلية وطنية.

و في ظل الهجرة الصهيونية المتزايدة إلى فلسطين بسبب الاضطهاد النازي لليهود في أوروبا و تجاهل الإدارة البريطانية للمطالب الفلسطينية و انحيازها التام للصهيونية ، ظهرت دعوات للجهاد ضد الحكومة الحا مية الحقيقية للصهيونية في فلسطين، كدعوة **الشيخ عز الدين القسام** التي تطورت في عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) إلى ثورة مسلحة ضد البريطانيين و الصهيونيين كبديل وحيد للحيلولة دون إقامة وطن قومي للي هود في فلسطين، ولكن قبل أن يتمكن "القسام" من تدعيم حركته استشهد قرب حنين أثر صدام عرضي وقع بين جماعته و قوات من الجيش و البوليس، و استشهد معه اثنان من أتباعه، و أسر خمسة آخرون، و اختفى الباقون في الجبال، و سرعان ما أصبحت ذكرى حركته رمزاً للتضحية و الفداء، و غدت كل محاولة لإقامة تقارب بين الفلسطينيين و السلطات الحكومية مكتوباً عليها بالفشل.

١ – الثورة الفلسطينية الكبرى: (١٣٥٥- ١٣٥٨) هـ / (١٩٣٦ – ١٩٣٩) م:

كان التوتر بين العرب و اليهود يزداد حدة طوال عام ١٩٥٣م و ذلك نتيجة لاعتراض الصهيونية على إنشاء المجلس التشريعي الذي اقترحته الإدارة البريطانية، و كذلك بسبب استمرار الهجرة اليهودية و بيع الأراضي على نطاق واسع، و من ثم فقد أدى حادث بسيط إلى اندلاع الثورة و هو إنه في الخامس عشر من أبريل عام ١٩٣٦م قتل رجل يهودي و أصيب يهودياً بجروح خطيرة في الطريق بين نابلس و طولكرم، و أتهم العرب بأنهم وراء هذا الحادث، و رد اليهود بقتل عربيين، و بهجمات على العرب و تفاقم الموقف و وقع صدام بين العرب و اليهود عند حدود يافا – تل أبيب، و أصيب عدد من كلا الجانبين بجروح، و تطور الأمر أكثر عندما أعلنت بعض الجمعيات العربية في نابلس الإضراب العام في البلاد كلها، على أن يستمر الإضراب حتى تستجيب الحكومة للمطالب العربية، و ذلك هو الإضراب الذي استمر ستة أشهر، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل أنحاء فلسطين، و اشترك فيها مجاهدون من مختلف البلاد العربية و الإسلامية.

و قد عجزت بريطانيا بقواتها العسكرية و وسائلها القمعية عن القضاء على هذه الثورة فلجأت إلى مناشدة الزعماء العرب بالتدخل، و بالفعل تدخل الملوك و الحكام العرب و أوقف أهل فلسطين الثورة و أنهوا الإضراب بعد أن وعدهم أولئك الزعماء بان بريطانيا ستحل قضيتهم حلاً عادلاً.

و أكد القادة الفلسطينيون أمام لجنة التحقيق الملكية البريطانية التي أرسلت إلى فلسطين لتحري أسباب الثورة عدم شرعية وعد بلفور، و كذلك الانتداب البريطاني على فلسطين، و طالبوا بإلغاء الانتداب و بإقامة حكم وطني مستقل، و قالت اللجنة الملكية في تقريرها أن أسباب ثورة عام ١٩٣٦م تعود إلى رغبة العرب في الظفر بالاستقلال الوطني من جهة، و خوفهم من إقامة وطن قومي يهودي في بلادهم من جهة أخرى .

و كانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب، و بدأت بريطانيا بالخطر الصهيوني، وأرادت التخلص من المشكلة ، فأصدرت كتابها الأبيض عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) عدلت فيه مشروع التقسيم و حاولت فيه تحديد الهجرة اليهودية، و تحديد انتقال الأراضي إلى اليهود، ثم منح البلاد الاستقلال

بعد عشرة سنوات، و عارض الفلسطينيون الكتاب الأبيض بوصفه لا يحقق مطالب العرب التي تتخلص في أن نظفر فلسطين با ستقلالها ضمن اتحاد فيدرالي عربي و تبقى عربية للأبد ، و عارض الصهيونيين كذلك الكتاب الأبيض و تعاهدوا على مقاومته بالعنف و الإرهاب، فقامت عصاباتهم مثل **"شتيرن"** و **"الأرغون"** بغارات على الثكنات العسكرية البريطانية و المستودعات و المطارات، و أخذت تنسف دور الحكومات و المرافق العامة، و قتلت عدداً من الضباط و الجنود البريطانيين، و اغتالت اللورد **"موين"** وزير الدولة البريطانية في القاهرة، كما قامت وسائل إعلامهم خارج فلسطين بحملة دعائية ضد الكتاب الأبيض مستغلة في ذلك سلاح **"اللا سامية"** و اضطهاد النازية لليهود و غيرها من الأمور التي حاولوا عن طريقتها كسب الرأي العالمي و تعاطفه مع آمالهم القومية في فلسطين.

و اهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتنجيد و التدريب العسكري فكونوا **"الهجاناه"**: و هي قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية، و ألفوا المنظمات السرية الإرهابية من أجل إقامة دولة إسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل، و قد اتحدت هذه العصابات لتكون في عام ١٩٤٧م جيش الدفاع الإسرائيلي، و في مقابل هذه الاستعداد ات العسكرية لم يكن للفلسطينيين أي منظمات عسكرية مسلحة أو حتى جماعات مسلحة ، و بدأ الفارق العسكري بين اليهود و العرب في فلسطين واضحاً، و هو فارق استمر و تزايد حتى يومنا هذا و عليه تعتمد إسرائيل في تجاهلها للحقوق الفلسطينية، بل و لجيرانها العرب الآخرين.

٢ – الجهود الصهيونية لإقامة الدولة:

و لم يكن غريباً إذن أن يساند الرئيس الأمريكي **"روزفلت"** الحركة الصهيونية في مسعاها لإقامة دولة صهيونية في فلسطين، فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية في البحيرات المرة في عام ١٩٤٥م محاولاً إقناعه بالموافقة على تلك الدولة الصهيونية، و لكن الملك المسلم رفض ذلك رفضاً تاماً لأن موقفه كان دائماً إلى جانب الحق العربي في فلسطين و رفض الهجرة اليهودية، فقد كان مدركاً لمطامع الحركة الصهيونية و خطرها على فلسطين و البلاد العربية أيضاً، بل إنه كان دائماً يحاول و بكل السبل إثناء بريطانيا عن مساندتها للصهيونية، و كان يمثل بموقفه هذا موقف كل مسلم غيور على دينه و مقدساته، المسلم الرافض لتأسيس الكيان الصهيوني على أقدس بقعة من أرض الإسلام بعد الحجاز.

و اندفع الرئيس **"ترومان"** الذي خلف **"روزفلت"** في تأييد الصهيونية و ممارسة الضغط على بريطانيا من أجل إعلان الدولة اليهودية و زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى يتحقق لليهود الغلبة العددية ، و قد خضعت الحكومة البريطانية لتلك الضغوط و أظهرت ذلك فيما أوصت به لجنة تحقيق بريطانية – أمريكية في عام ١٩٤٦م بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين.

ث - قيام إسرائيل:

بانسحاب بريطانيا أعلن **"بن جوريون"** قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨م و اعترفت بها بريطانيا لحظات بعد إعلانها ، و أعقبها الاتحاد السوفيتي ثم كل دول أوروبا الغربية، كما اعترفت بها تركيا و إيران الشاه، فكانت أول دولتين إسلاميتين تعترفان بدولة الكيان الصهيوني.

ثم تلت من بعد ذلك مرحلة تثبيت الدولة الصهيونية التي امتدت من عام ١٣٦٨هـ إلى عام ١٣٨٧هـ / (١٩٤٨ – ١٩٦٧)م، و كانت أولى أحداث تلك الفترة دخول الجيوش العربية أرض فلسطين من الأردن و سوريا و لبنان و العراق و مصر و المملكة العربية السعودية و قد لاقت تلك الجيوش بعض النجاح في الطور الأول، و لكن الضغط الدولي أجبرها على قبول الهدنة التي استغلها اليهود في تسليح جيشهم في حين طبق حظر على تسليح الدول العربية، و عندما استؤنف القتال أصيبت الجيوش العربية بانتكاسات و هزائم متتالية، ثم كانت هدنة **"رودس"** مع كل من مصر و لبنان و الأردن و سوريا عام ١٩٤٩م و التي سيطرت إسرائيل بموجبها على ٧٧% من الأراضي التي خصصت لليهود بموجب قرار التقسيم، و في مارس ١٩٥٠م أصدرت الدول الاستعمارية الثلاث : الولايات المتحدة و بريطانيا و فرنسا التصريح الثلاثي بضمان حدود إسرائيل و المحافظة على كيانها الصهيوني من أي خطر محتمل يتهددها.

مرحلة التوسع اليهودي ١٣٨٧ – ١٤٠٩ هـ / ١٩٦٧ – ١٩٨٨م:

اشتركت إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م، و قد كسبت فيه فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية و الاتصال بأفريقيا، و هو أمر هام جداً لإسرائيل .

ثم قامت إسرائيل بتحويل مياه نهر الأردن إلى النقب لاستيعاب مهاجرين جدد هناك، و ليصبح النقب قاعدة انطلاق لليهود الصهيونيين صوب شبه الجزيرة العربية و وادي النيل.

ثم جاءت حرب أكتوبر ١٩٦٧م **"حرب الأيام الستة"** و نتائجها ماثلة أمام أعيننا الآن: احتلال القدس الشرقي و الضفة الغربية و هضبة الجولان و شبه جزيرة سينا، و محاولات الصهيونية إزالة المسجد الأقصى و بناء الهيكل المزعوم مكانه.

ثم كانت حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م و عبور الجيش المصري خط بارليف و السند الأمريكي العاجل و الهائل لإسرائيل.

ثم جاءت اتفاقيات كامب دافيد سبتمبر ١٩٧٨م و ما نتج عنها من توقيع اتفاق السلام بين مصر و دولة الكيان الصهيوني، و تمزق الوحدة العربية الذي تلى ذلك السلام، و تداعيات الأحداث التي نشهدها و نعيشها اليوم.

و تبقى في النهاية النتيجة المرة و هي أن الشعب الفلسطيني اليوم موزع لاجئ يعيش أبناؤه مرارة اللجو، و فلسطين غير موجودة على الخريطة السياسية، و مكانها دولة الكيان الصهيوني التي أدخلت في روع العرب أنه لابد من الاعتراف بها، فهي – كما يدعي قادتها – أمر واقع، و أنه لا قبل للعرب من استرجاع فلسطين، فالدولة الصهيونية قوية لا يمكن قهرها، و أنه لا بد من السلام معها، شاء العرب أم أبوا.

المحاضرة الثالثة عشرة :المسلمون في آسيا وأوربا

المسلمون في الفلبين :

الفلبين مجموعة من الجزر منتشرة في مياه المحيط الهادي في أقص شرقي آس يا بين الجزر الإندونيسية والجزر اليابانية ، بعضها معروف ، وبعضها صغير مجهول لا يكاد يعرفه إلا ساكنوه ، وأكبر هذه الجزر " لوزون " في المنطقة الشمالية ، وأغلب سكانها نصارى ووثنيون ، وفيها العاصمة " مانيلا " ، وتليها في المساحة جزيرة " مندناو " في المنطقة الجنوبية ، ويتركز فيها المسلمون بالإضافة إلى جزر " بالاوانش " و " صولو " ، ويطلق عليها اليوم اسم " مورو الإسلامية " .

أما السكان فيبلغ عددهم حوالي ستين مليوناً تقريباً ، وعدد المسلمين بينهم يصل إلى (٦,٥) مليون مسلم ، أي بنسبة ١١ % ، وهذه هي تقديرات الحكومة الرسمية في مانيلا ، التي قد تتعمد تقليل أعداد المسلمين ، ويتكلم السكان اللغة المحلية بالإضافة إلى الإسبانية والإنجليزية اللتي ن دخلتا البلاد أثناء الاستعمار الإسباني والأمريكي ، ويتكلم المسلمون لغتين من اللغات السائدة في البلاد وهما : لغة " ثاصو " ، وهي قر يبة من الإندونيسية ، ولغة " مراناو " ، وهي الغالبة في جزيرة " مندناو " ، وتضم ألفاظاً عربية كثيرة ، وتكتب بالحرف العربي .

وبالنسبة لمعتقدات السكان الدينية في الفلبين ، فهناك النصارى، والمسلمون ١١ % ، والبوذيون ،ويتألف السكان من عنصرين أساسيين هما :

١ – العنصر القديم وهم سكان البلاد القدماء ، ومنهم " النجريتو " ، وهم الأقزام الآسيويون ، لونهم أسود وقامتهم قصيرة ، وهم جماعات بدائية تعيش في الغابات ، والمناطق المنعزلة ، ولا دين لهم ..

٢ – عنصر المورو ، والذين قدموا إلى البلاد عل موجتين ، حملت الثانية منها ا لإسلام ، وتوزعت في البلاد على موجتين ، وقد أطلق عليهم الإسبان اسم المورو إذ شبهوهم بمسلمي المغرب والأندلس .

وقد وصل الإسلام إلى تلك البقاع عن طريق الدعاة والتجار الذين وصلوا من جزيرة العرب ، ومن الهند ، وإندونيسيا ، والملايو ، وقد جا ءها الإسلام ولا سيما إلى الجزر الجنوبية منذ القرن الثامن الهجري ، وما أن حل القرن التاسع الهجري حتى تأسست عدة إمارات إسلامية ، أهمها إمارة الشريف أبي بكر في " صولو " عام ٨٥٤ هـ ، وإمارة الشريف محمد بن علي في " مندناو " عام ٩٠٦ هـ ، ثم إمارة " مانيلا " التي تشمل اليوم عاصمة البلاد .

وازدهرت الحياة الإسلامية في تلك البلاد التي أطلق عليها العرب المسلمون اسم " عذراء ماليزيا " زهاء قرن كامل ، وكاد الإسلام يعم البلاد ويقضي على الوثنية التي كانت قائمة في تلك الجزر ، وكان عدد المسلمين يقدر آنذاك بخمسة ملايين ونصف ، أي أنهم كانوا يمثلون نسبة ٥٥ % من تعداد السكان ، ولكن نسبتهم اليوم هبطت إلى ١٢ % من عدد السكان بسبب ما تعرضوا ل من إبادة عن طريق الحروب مع الإسبان ، ثم مع الاستعماريين الياباني والأمريكي ، وأخيراً مع الاستعمار الفلبيني النصراني الذي ما فتئ يحارب الإسلام والمسلمين ، إذ تولى ال نصارى المتعصبون حكم الفلبين بعد أن نالت استقلالها من أمريكا ، وتابعوا مهمة الإسبان والأمريكيين في التنصير ، ومحاولة إفساد المجتمع ا لمسلم ، وإبادة المسلمين بشتى الأساليب البشعة ، وخاصة في عهد " ماركوس " المخلوع الذي كان يفتخر بأن " الفلبين " هي الدولة الوحيدة ذات الأغلبية النصرانية في آسيا .

الغزو الصليبي وجهاد المسلمين :

تعرضت الفلبين إلى الغزو الإسباني ، وذلك عندما وصل " ماجلان " الإسباني إلى تلك الجزر في عام ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م ، وحاول فرض سيطرته ونشر عقيدته ، فتصدى له المسلمون في جزيرة " ماكتان " وقتلوه ، ونجا بعض جماعته ، ورجعوا إلى إسبانيا ، وسير ملك إسبانيا بعد ذلك جيشاً تمكن من الاستيلاء على المناطق الشمالية والوسطى ، وعجز عن السيطرة على المناطق الشمالية والوسطى ، وعجز عن السيطرة

على المناطق الجنوبية ، حيث يكثر المسلمون ، وأخذ الإسبان يطاردون المسلمين و يحاولون نشر عقيدتهم في المناطق التي سيطروا عليها ، واستمرت الحرب بينهم وبين الفريقين حتى عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م ، حيث خلفت الولايات المتحدة إسبانيا في استعمار الفلبين .. واستمرت في سياستها الرامية إلى تنصير السكان عن طريق الإكراه ، فقاوم المسلمون هذه السياسة واستمر القتال حوالي أربعة عقود استشهد فيها الآلاف من المجاهدين ، ولكن الغزاة شنوا على المسلمين حرب الجراثيم فمات الألوف في جزيرة مندناو وارخبيل صولو بالكوليرا ، والجدري ، والطاعون ، وبلغ ضحايا الأوبئة أكثر من ٢٠٠ ألف ، حسب التقارير الغربية نفسها ، فتكونت لهم دولة تحت الإدارة الأمريكية وازدهرت المدارس ، وهدأت الأحوال .

وفي عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م احتل اليابانيون المناطق الإسلامية من الفلبين ، وقاوم المسلمون الغزاة الجدد ، وقاوم معهم سكان البلاد حتى حصلوا على الاستقلال عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٥ م ، حيث سلمت أمريكا زم ام الأمور إلى حكومة نصرانية عل رأسها نصراني ، وضم الجنوب الإسلامي إلى هذه الحكومة ، ومرة أخرى كان على المسلمين الجهاد ، وهكذا ظل المسلمون ولمدة أربعة قرون يحملون السلاح دفاعاً عن عقيدتهم وكرامتهم ، ضد الأسبان ، ثم ضد الأمريكيين واليابانيين ، والآن ضد الفلبين النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين .

ولكن محنة الإسلام في جزر الفلبين بدأت بعد استقلال البلاد ، وقيام حكومة وطنية على رأسها رئيس كاثوليكي ، إذ أن رجال الكنيسة اهت موا بإثارة الحكومة ضد المسلمين ، حيث مارست سياسية البطش والإرهاب ضدهم منتهجة عدة أساليب منها :

١ – تشجيع النصارى على الاستيطان في المناطق الإسلامية .

٢ – تبني الحكومة عمليات التنصير المنظمة بين المسلمين وخاصة في المناطق ذات الكثافة السكانية الفقيرة .

٣ – العمل على دفع المسلمين لترك أراضيهم الزراعي.

٤ – عدم فتح المدارس الإسلامية ، أو أي مؤسسات تعليمية أخرى حتى يبقى المسلمون جهلاء وأميين .

٥ – إرهاب المسلمين بغرض احتلال أراضيهم ، وذلك بتأسيس منظمات إرهابية يقوم عليها بعض المتعصبين من النصارى ، مثل منظمة " أيلاجس " الإرهابية والتي تجد الدعم المادي من إسرائيل ومن اليهود ، حيث أخذت منذ عام ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م تقتل المسلمين ، وتحرق دورهم ، ومساجدهم ومدارسهم ، وتهدد زعمائهم ليقبلوا تنصير السكان .

حركة النضال :

وبالمقابل اشتد وعي المسلمين ، وشعورهم بالانتماء إلى الأمة الإسلامية الكبيرة ، ونتيجة تعرضهم للقهر ، والاعتداء والتنصير أنشأوا عدداً من الجمعيات الإسلامية ، مثل " جمعية المسلمين الفلبينية " في مانيلا في عام ١٣١٥ م ، وجمعية " هداية الإسلام " ، و" مؤتمر الإسلام " ، و " النهضة الإسلامية " ، وغيرها وغيرها ، وأخيراً اضطر المسلمون إلى إعلان ثورتهم الإسلامية الحديثة في منطقتهم المعروفة " مورو " في جزوب الفلبين ، وكان ذلك في عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م على أثر إعلان حكومة " ماركوس " الأحكام العرفية في البلاد ، وإصدارها الأوامر إلى الجيش بشن الحملات العسكرية على المناطق الإسلامية ، وجمع أسلحة المسلمين ، فتدفق الجيش الذي بلغ تعداده حوالي ربع مليون جندي إلى الجزوب " مناطق المسلمين " ، وارتكب النصارى أفظع الجرائم من قتل جماعي ، وإحراق للأحياء ، وانتهاك الأعراض والحرمات ، ولكن المسلمين صمدوا في وجه تلك الفظائع تحت قيادة جبهتهم " جبهة تحرير بنجاسا مورو الوطنية " برئاسة نور ميسوارى ، التي كانت تعمل عل إقامة دولة إسلامية مستقلة عن باقي الجزر الفلبينية ، وكانت نواتها الأولى قد تكونت عام ١٩٦٢ م باسم "لجنة تحرير مورو " وضمت مجموعة من الطلاب الذين كانوا يدرسون في الجامعات والمعاهد الإسلامية في الشرق الأوسط.

وتوالت المعارك بين الجانبين ، وتفاهمت ، وازداد تعرض المسلمين لل قتل والإبادة إلى الحد الذي جعل القضية تعرض على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول في عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م في جدة ، وقد كشف الملك فيصل للمؤتمر ما يتعرض له المسلمون في الفلبين من إرهاب وقمع وتقتيل ، الأمر الذي جعل المؤتمر يرسل لجنة رباعية لتقصي الحقائق ، وبعد مفاوضات واتصالات وافق " ماركوس " رئيس جمهورية الفلبين على لسان وزير دفاعه الذي حضر مؤتمر طرابلس الحكم الذاتي في ثلاثة عشر ولاية ، وقد جرى التصديق على هذا الاتفاقية من قبل اللجنة الرباعية التي شكلها المؤتمر الإسلامي .

وقد تطور صراع المجاهدين مع الحكومة ، ودخل طوراً جديداً خطيراً ، وذلك عندما بدأت عناصر حكومية متعصبة تتعاون مع بعض الخبراء الصهيونيين والقوى الاستعمارية من أجل القضاء على الحركة الإسلامية في الفلبين ، فقام بعض الزعماء الصهيونيين بزيارات متعددة للفل بين لمساعدة الحكومة في حربها ضد المسلمين ، بل أن وزيرة خارجية دولة الكيان الصهيوني آنذاك " غولدا مائير " قامت بزيارة الفلبين وتعهدت

في تلك الزيارة بتقديم المعونات المادية للإسلام والمسلمين تتدخل في قضية مسلمي الفلبين ، والذين مازالوا يقدمون الشهداء والضحايا من أجل تحقيق مطالبهم العادلة .

وقد أدت تلك العمليات الإرهابية المستمرة للقضاء على المسلمين إلى انتشار الفقر والجهل والمرض بين المسلمين ، وإلى تأخرهم ، مما جعلهم فريسة لحملات التنصير والشيوعية ، ورغم ذلك فلا زال الجهاد الإسلامي مستمراً ، فالمجاهدون يسيطرون على جميع المناطق الإسلامية ، ما عدا بعض المدن ، ولقد سارعت بعض الدول مثل المملكة العربي السعودية وغيرها ، والمؤسسات الإسلامية كرابطة العالم الإسلامي ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، وكالأزهر الشريف إلى تقديم المساعدات التعليمية لمسلمي الفلبين ، فهناك الآن عدة مدارس ومعاهد إسلامية ، مثل م ركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية الموجودة ضمن جامعة " مندناو " ، كما أن عدد المساجد في الفلبين يقدر بحوالي ٢٥٠٠ مسجد ، وهذا دليل آخر على وجود الإسلامي هناك .

قضية كشمير

الأرض والسكان :

تقع ولاية كشمير في الطرف الشمالي من شبه القارة الهندية (في الطرف الغربي من جبال الهملايا) ، وتحيط بها الصين من الناحيتين الشرقية والشمالية ، وباكستان من الغرب والشمال، والهند من الجنوب ، فهي متاخمة لخمس دول هي : باكستان ، وأفغانستان ، وروسيا ، والصين، والهند وتمتد حدودها مع باكستان إلى أكثر من سبعمائة كيلومتر ، بينما تصل حدودها مع الهند إلى ثلاثمائة كيلومتر فقط ، وهي ذات مناخ بارد لدرجة أن الثلوج تغمر بعض أماكنها شهوراً طويلة من السنة ، كما أنها بلاد كثيرة الأنهار ،، وبلاد كشمير من أجمل البلاد العربية ، وكثيراً ما توصف بأنها جنة الله في الأرض.

وقد كانت كشمير مقسمة في ز من الاحتلال البريطاني إلى ثلاثة أقسام هي جامو ، وكشمير ومنطقة الحدود ، أما اليوم فهي قسمين فقط هما : كشمير الحرة ، وهو القسم الذي أعلن استقلاله وانضمامه إلى باكستان ، أما القسم الثاني فهو كشمير المحتلة الذي استولت عليه الهند واستعمرته ، وهو القسم الأكبر.

ويبلغ عدد السكان في كشمير – بشقيها – حوالي ١٢ مليون نسمة منهم ما يقرب من ٨٥ % من المسلمين ، والباقي من الهندوس ، والسيخ والبوذيين ، ويبلغ عدد سكان الجزء التي تحتله الهند حوالي عشرة ملايين نسمة ، والجزء الحر التابع لباكستان نصف مليون نسمة ، وهناك أكثر من مليون لاجئ ، وربع مليون مغترب .. والمسلمون في كشمير سنة أحناف ، وبينهم أقلية شيعية .

وإلى جانب طبيعتها الخلابة ، وأنهارها الكثيرة ، ومراعيها الخصبة ، وثروتها الحيوانية الكبيرة ، تتمتع كشمير بموقع استراتيجي متميز ، لكونها أحد الأبواب التي تصل بين الهند والصين وما جاورها من أرض التبت .

كشمير والإسلام :

أهل كشمير مسلمون منذ سبعة قرون ، ففي عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك مد المسلمون نفوذهم ، ونشروا الإسلام في إقليم كشمير ، وأتم فتحها والي الخليفة العباسي المنصور ، ثم زاد الإسلام انتشاراً في عهد الخليفة ال عباسي المعتصم بالله (٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ) وفي القرن الثامن الهجري / أوائل القرن الرابع عشر الميلادي استطاع أحد الدعاة إقناع حاكم كشمير باعتناق الإسلام ، فكان أول حاكم مسلم لكشمير ، واستمر العهد الإسلامي في كشمير حتى القرن الثالث عشر الهجري / بداية القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأ نجم المسلمين في الهند في الأفول ، ففي عام ١٨١٩ م دخل المسلمون في حرب طاحنة مع طائفة السيخ استولى على أثرها السيخ على ولاية كشمير ، واستمرت سيطرة السيخ عليها حتى عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م ، وقد ارتكب السيخ أيام حكمهم للمسلمين في كشمير أ نواعاً من الظلم ، والاستبداد والوحشية تتحدث عنها كتب التاريخ في كثير من التفصيل المحزن .

السياق التاريخي والسياسي لقضية كشمير :

في خلال سيطرة السيخ على كشمير احتلت بريطانيا الهند ومعها كشمير ، فطردوا الحكام السيخ من ولاية كشمير ثم باعوها بموجب اتفاقية ع ام ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٧ م ، بأرضها وشعبها إلى أحد الإقطاعيين الهندوس ، واسمه " غولاب سنغ " من عائلة اسمها " دوجرا " بمبلغ ٧,٥ مليون " تانك شاهي " " العملة الرائجة آنذاك " ، وهو ما يعادل مليون دولار ، وكأن قيمة كل فرد من أفراد الشعب الكشميري لم تتجاوز سبع روبيات ، ومن هذا التاريخ بدأ حكم " دوجرا " الهندوسي لولاية كشمير المسلمة وبدأت مأساة كشمير تظهر على مسرح التاريخ نتيجة للسياسة الجائرة التي حكم بها الهندوس أهل كشمير ، سياسة ضرائبية ظالمة ، وحكم غاشم ، قاسى فيه المسلمون أقسى أنواع الظلم والاستبداد على أيدي الهندوس.

وتوالت المؤامرات ضد كشمير ، فبعد مرور قرن على بيع كشمير ، وفي عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م أصدر البرلمان البريطاني قانون استقلال الهند ، والقاضي بإقامة دولتين مستقلتين هما : الهند ، وباكستان ، وكان القرار ينص على أن المناطق التي يشكل فيها المسلمون أغلبية السكان تذهب لباكستان ، ومناطق الأغلبية الهندوسية تذهب للهند ، وعليه كان يتعين على كشمير أن تنضم إلى باكستان نظراً للروابط العرقية ، والدينية والمصالح المشتركة بين البلدين ولكن مهراجا " حاكم " كشمير الهندوسي كان يحيك مؤامرة لضم كشمير إلى الهند ، وذلك بالتنسيق مع الهند ، واللورد الحاكم العام للهند ، ونفذت المؤامرة بطريقة كانت معدة سلفاً ،

قصة الانضمام :

حاول المهراجا مقاومة الثوار بكل الوسائل ، ولكنه اضطر إلى الفرار إلى الهند أمام انتصارات الثورة ، حيث طلب المعونة من حكومة اله ند ، ووقع معها اتفاقية تقضي بضم كشمير إلى الهند ، وذلك في أكتوبر ١٩٤٧ م ، فسارعت الهند إلى إعلان الموافقة على الاتفاقية " بصورة مؤقتة " ، وأرسلت جيشها لاحتلال تلك الولاية المسلمة ، أما باكستان فقد رفضت هذه الوثيقة .

مارست القوات الهندية عند دخولها كشمير أبشع وأفظع الجرائم، ولكنهم كانوا يقاومون الجيش الهندي مقاومة باسلة ، ولكن القوات الهندية تمكنت في النهاية من تثبيت حكم المهراجا ، وفي غضون ذلك كانت المعارك قد امتدت إلى حدود باكستان مما اضطرها إلى دخول المعركة علماً بأن جيشهم لم يكن منظماً بعد ، ولكنها أرسلت قوة من رجال قبائل " الباتان " القوية إلى كشمير حيث شبت بينهم وبين الجيش الهندي حرباً طاحنة تمكنت الهند خلالها من السيطرة على الجزء الأكبر من كشمير ، وأعلنت ان ذلك الجزء أصبح جزءاً لا يتجزأ من بلادها ، ثم تقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن تشكو فيها من تدخل رجال القبائل الباكستانية في كشمير ، وأرسل مجلس الأمن لجنة للنظر في الأمر ، وبعد اجتماعات مطولة أصدرت اللجنة قرارين في عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م وعام ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م ينصان على ثلاثة مواد :

١ – وقف القتال . ٢ – تجريد الإمارة من السلاح . ٣– إجراء استفتاء حر محايد تحت إشراف هيئة الأمم لتقرير مصير إمارة كشمير ، وأمر انضمامها إلى الهند أو باكستان

.

وعلى هذا الأساس توقف القتال في/١٩٤٩ م ، ولكن المشكلة لم تحل ، وذلك لأن الهند لا تريد التخلي عن كشمير ، ولا تريد إجراء استفتاء حر محايد فيها ، بل أن نهروا أعلن في ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م إلغاء اتفاقية الاستفتاء ، وأعلن بالنيابة عن أهل كشمير ، انضمام الولاية إلى الهند على أساس سياسة الأمر الواقع ، وهي السياسة التي يتبعها الصهيونيون في فلسطين.

السياسة الهندية في كشمير :

هي سياسة ترمي في مجملها إلى طمس هوية كشمير الإسلامية ، وذلك عن طريق عدة سبل ترمي كلها للقضاء على الإس لام وحضارته في كشمير ، فبدأت الحكومة الهندية باتخاذ إجراءات مشددة وقاسية لإنهاء جهاد الشعب الكشميري ، واستخدمت في ذلك كل أنواع الأسلحة الفتا كة ، ثم قامت بوضع خطة للقضاء على الإسلام والمسلمين هناك ، تمثلت في تبديل المنهج التعليمي بمنهج هندوسي يشتمل على المع تقدات الهندوسية ، ويتجاهل تماماً المعتقدات والمبادئ الإسلامية ، وكذلك تشجيع بين المسلمين والهندوس لإيجاد جيل مسلم بالاسم ، هندوسي العقيدة والفك ر ، وتجريد لغة كشمير من الألفاظ العربية لقطع صلة المسلمين بتراثهم الإسلامي ، وترويج حركة تحديد النسل بين المسلمين لتكون الأغلبية السكانية للهندوس ، وطمس تاريخ الولاية الإسلامي ، وغيرها من الأساليب الرامية إلى إضعاف الإسلام في نفوس المسلمين ، والتضييق على المسلمين بكل الوسائل ، وقد نتج عن تلك السياسة أن اضطر بعض المسلمين لاتخاذ أسماء هندوسية ليتسنى لهم كسب قوتهم .

وقد تفشى الجهل الديني عندما عطلت المؤسسات التعليمية الإسلامية ، وتم الاستيلاء على أحسن أراضي المسلمين ، وفرضت عليهم القوانين الجائرة ، والضرائب التعسفية ، وأصبحت المعاملة الوحشية سمة الحكم الهندي في الولاية – كل ذلك بغرض إزالة الإسلام ، والمسلمين عن الولاية. فهناك مثلاً ضريبة الأضحية على المسلمين ، ومنع ذبح البقر في كشمير ، ومنع المسلمين من حمل السلاح ولو بترخيص ، وإصدار القوانين القائلة : بأن الهندوسي إذا ارتد عن دينه فقد كل حقوقه في الميراث ، في حين إذا ارتد المسلم عن دينه تركت له كل أملاكه ، إضافة إلى ذلك فإن الحكومة أبعدت المسلمين عن كل وظائف الدولة....

الموقف الدولي من القضية :

هناك تجاهل دولي واضح لمسألة كشمير ، وللانتهاكات التي تمارسها الهند في تلك الولاية ، وهناك تواطؤ دولي واضح يسند المؤامرة الهندوسية في كشمير ، ويتجاهل حق أهلها في تقرير مصيرهم ، ولا تعليل لهذا التجاهل وذاك التواطؤ إلا أن الكشميريين مسلمون ، وإن السياسة الغربية والأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد تكيل بمكيالين ، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالمسلمين ، وليس بمصالحها الذاتية ، من ذلك أن معارضة الهند ، وعدم تنفيذها ، وتجاهلها لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بكشمير ، مع تزويدها بالقوة الكافية والرادعة من قبل الدول الغربية – تماماً كما هو الحال مع إسرائيل الآن .

اندلاع الحرب في عام ١٩٦٥ م :

كانت نتيجة فشل كافة المساعي الدولية لحل مسألة كشمير إزدياد التوتر بين الهند وباكستان ، وزاد من هذا التوتر الإعلانات الصادرة من وزير الداخلية الهندي وغيره من المسؤلين في يناير عام ١٩٦٥ م بأن كشمير جزء لا يتجزأ من الهند ، وعلى أثر ذلك اندلعت الحرب واستمرت سبعة عشر يوماً ، توقف القتال بعدها بموجب قرار من مجلس الأمن في ٢٢ سبتمبر عام ١٩٦٥ م

وقد جرت محاولة أخرى لحل المسألة الكشميرية في اتفاقية " شملا " في عام ١٩٧٢ م الموقعة بين الرئيس الباكستاني ذو الفقار علي بوتو ، ورئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي ، ولكن مصيرها كان الفشل ، حيث بقيت المسألة دون حل حتى الآن .

الجهاد الكشميري :

استمر المسلمون في كشمير يقاومون إجراءات القمع الهندية منذ عام ١٩٤٧ م ، بعد أن تأكد لأهل كشمير أن الحل السلمي لن يجدي شيئاً ، وإن الاعتماد على الأمم المتحدة لن يعطيهم حريتهم ، ولذا تشكلت حركة تحرير كشمير المتمثلة في " مؤتمر الحرية " .

وكان الاهتمام الإسلامي والعالمي ، بالجهاد المسلح في كشمير أولاً بسبب الوحشية والعنف التي التي تتعامل بهما القوات الهندية مع ذلك الجهاد ، وكذلك لأن الكفاح المسلح في الداخل كان يوازيه كفاح سياسي وإعلامي في الخارج ، ومن ثم لم يكن غريباً أن اهتمت منظمة المؤتمر الإسلامي بالقضية الكشميرية ، وأصدر وزراء خارجيتها عدة قرارات حول وجوب حلها سلمياً ووفقاً للقرارات الدولية ، ولكن مواقف الهند المتشددة كانت دائماً العقبة أمام مثل تلك الجهود ، ذلك أن الهند كانت ترى أن أي حل لقضية كشمير تحت رعاية العالم الإسلامي سيكون لصالح باكستان ، وأن أي جهد في هذا الاتجاه سيؤدي إلى تدويل القضية ، وذلك مالا تريده الهند .

المسلمون في الدول الشيوعية:

المسلمون في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) :

تكون الاتحاد السوفيتي قبل انهياره من خمس عشر جمهورية ، فيها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها ، وهي مناطق المسلمين في هذا الاتحاد ، وهي :

١ – تركستان الغربية :

٢ – منطقة حوض الفولجا :

٣ – سيبيريا :

٤ – بلاد القفقاس – قفقاسية :

٥ – شبه جزيرة القرم :

هذه هي مناطق المسلمين في الاتحاد السوفيتي المنهار ، وهذا الوجود الإسلامي يوضح حقيقة هامة قد يجهلها كثير من الناس ، وهي أن العنصر الإسلامي في بلاد الاتحاد السوفيتي ليس عنصر غريباً دخل البلاد فاتحاً ثم استقر فيها ، بل المسلمون هم أهل البلاد وسادتها ، وهم يمتلكون أهم الثروات في الاتحاد السوفيتي ، وبدونهم يصبح في عداد الدول التي تعتبر من الدرجة الثالثة .

الروس وموقفهم من المسلمين :

كانت سياسة روسيا تجاه المسلمين منذ عهد القياصرة سياسة قائمة على محاربة الإسلام والمسلمين ، تلك السياسة التي بدأها القيصر إيفان الرهيب واستمرت حتى بعد قيام الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م وهي تتلخص فيما يلي :

١ – سياسة التنصير الإجباري :

وخاصة في روسيا الأوروبية ، فكان على المسلمين الارتداد إلى النصرانية ، أو الطرد ، أو التصفية الجسدية لمن سيبدي أقل مقاومة ، إضافة على إغلاق مدارس القرآن ، وهدم المساجد والاستيلاء على أوقاف المسلمين ،وكانت العقيدة الإسلامية جريمة يعاقب عليها بالإعدام .

٢ – التهجير والإبادة :

بالتضييق على المسلمين بمختلف الوسائل ، كطرد علماء الدين من المدن ، ومصادرة الأوقاف ، وفرض الضرائب الباهضة على المسلمين ، والتصفية الجسدية للقادة المسلمين ، ثم بإحلال الروس في أراضي المسلمين .

روسيا الشيوعية وموقفها من الإسلام :

وحين قامت الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م لم ينتبه المسلمون إلى أهميتها ، فوقفوا منها موقف المتفرج ، وظن قلة منهم أن فيها خلاصاً لهم من الظلم القيصري

وقد حاول رجال الثورة كسب المسلمين إلى جانبهم بتذكيرهم بظلم القياصرة لهم ، وبوعدهم منحهم السيادة القومية ، واحترام معتقداتهم ، فوجهوا نداء للهسلمين في نوفمبر١٩١٧م ، وقعه كل من لينين وستالين جاء فيه دعوتهم إلى الثورة ، وفيه :

"يا مسلمي روسيا من تتار الفولجا ، والقرم ، وقرغيز سيبيريا ، وتركستان ، وشاشان .. إلخ الذين هدم قياصرة روسيا المستبدين مساجدهم ، وبيوت عبادتهم ، والذين أهينت معتقداتهم .. أعلموا أن معتقداتكم ، وعاداتكم ، ومعاهدكم القومية والثقافية ستكون بعد الآن حرة ومحترمة ، نظموا حياتكم القومية بحرية تامة ، وبلا معارضة من قبل أحد ، فهذا حقكم ... ثوروا من أجل دينكم ، وقرآنكم وحريتكم في العبادة .. إننا نحن نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم ، وأن عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها ... وأعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة .

ولكن حين استتب الأمر للشيوعيين حاولوا أول الأمر عن طريق الجاليات الروسية التي كانت تعيش في بلاد المسلمين نشر الشيوعية ، وأخذوا يخدعون المسلمين ويحدثونهم عن مجتمع الحرية والرفاهية ، فاستجاب لهم بعض أبناء البلاد ، ثم بدأت موسكو تتدخل في بلاد المسلمين ، وحين رفضت الحكومات المسلمة ذلك عزمت حكومة موسكو على احتلال البلاد بالقوة ، وفي إبريل عام ١٩١٨م أصدر لينين أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية دون سابق إنذار ، وتمكنت قواته من الاستيلاء على معظم البلاد وذلك لعدم تكافؤ القوى بينها وبين جيوش الحكومات الإسلامية الوليدة ، فأزالوا عنها الصفة الدينية واستبدلوا بها جمهوريات اتحادية شعبية كل منها جزء من الاتحاد السوفيتي ، وبدأ الشيوعيون يمارسون سياسة إلغاء كل ماله صلة بالإسلام .

لذا انصرف السوفيت إلى حرب الإسلام بطرق مختلفة ومتنوعة ، وأيضاً مرنة ولبقة ، ففي السنوات الأولى للثورة كانت سياسة الحزب الشيوعي تجاه المسلمين سياسة مذبذبة ومترددة ، وكانت تقوم على ثلاثة أسس هي :

١ – إلغاء الوقف الإسلامي

٢ – إلغاء المحاكم الشرعية لأنها تعطي المسلمين سلطة على حياتهم اليومية ، وتقوي كيانهم

٣ – إلغاء المدارس الإسلامية لأن التربية الإسلامية هي أساس حياة المسلمين .

وتابع الشيوعيون سياسة القياصرة المعادية للإسلام ، فطبقوا سياسة فرق تسد ، حيث عمدوا إلى تجزئة المناطق الإسلامية إلى وح دات قومية لغوية صغيرة متنافسة ، وقاموا بتفتيت المسلمين ، منعاً للوحدة الإسلامية ، كما أنهم اتبعوا سياسة تهجير المسلمين من مناطقهم حتى ي صبحوا أقليات في عقر دارهم ، إضافة إلى أساليب الإبادة حيث أباد الشيوعيون خلال خمسين عاماً حوالي ٢٠ مليون مسلم ، ويقال إن ستالين وحده قتل ١١ مليوناً ، فمثلاً أصدر أوامره في عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٤ م بسبي جميع الشاشان ونفيهم إلى سيبيريا ، وألغى جمهوريتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجيا ، كما نفى آلاف المسلمين من منطقة القرم ، والداغستان وغيرها .

وبعد موت ستالين أشرف الأمين العام ا لسابق للحزب الشيوعي خروتشوف بنفسه على تنفيذ مخطط يرمي إلى تصفية المسلمين في التركستان ، عن طريق تهجيرهم ، ودمجهم في المجتمعات الشيوعية الإلحادية ، كما فرض الشيوعيون سياسة عزل المناطق الإسلامية بعضها عن بعض من ناحية ، وكلها عن العالم الإسلامي من ناحية أخرى ، فقد عاش المسلمون فترة طويلة تحت الستار الحديدي بعيدين عن كل ما يجري في العالم الإسلامي ، الأمر الذي مكن للحكومات الشيوعية من الانفراد بهم ، والعمل بكل الوسائل على إبعادهم عن الإسلام ، ومحوه من نفوسهم .ورغم

كل ما قامت به الشيوعية من حرب ضد المسلمين ، إلا أنها لم تنجح في إن تذيب المسلمين في مجتمعها الجديد ، فلا تزال تركستان وأوزبكستان ، وبخاري ، وطشقند ، وسمرقند مناطق إسلامية ، وهم وإن جهل أبناءهم الكثير من مبادئ الإسلام إلا أنهم ما زالوا مسلمين في جوهرهم ، ولا زالوا متمسكين بهويتهم الإسلامية ، ولا زالت أعدادهم في تزايد **

المحاضرة الرابعة عشرة :دخول الإسلام إلى شرق أوروبا :

الجمهوريات الإسلامية في " كومونولث " الدول المستقلة

بعد انهيار الشيوعية والاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ م تم تأسيس رابطة الدول المستقلة (الكومنولث) ، فوجدت المجموعات الإسلامية في تركستان نفسها فجأة دولاً مستقلة ، منفصلة عن السيطرة الشيوعية ، وهي جمهوريات : أذربيجان ، أوزبكستان ، وطاجكستان ، وتركمنستان ، وكازاخستان ، وقرغيزستا ،.

وأحس المسلمون بزوال كابوس السيطرة السوفيتية القاسية الذي كان يحيط بهم ، ويسبب لهم التخلف ، وبدأوا محاولاتهم لا ستعادة هويتهم الإسلامية في وجه التحديات الاقتصادية ، والسياسية ، وتحديات النظام العالمي الجديد ، وتراكمات السياسات الشيوعية ، والمعركة أمام هم لا زالت قاسية ، والطريق ما زالت طويلة ، وستكون عودتهم إلى الإسلام متوقفة على عدة عوامل منها : مدى المساعدة التي ستقدمها الدول الإسلامية الأخرى لهم ، واستعداد المتطوعين من الدعاة للانتشار في تلك الجمهوريات لبذر بذور الإسلام الصحيح من جديد ، بعد أن غيبت ها السياسات الشيوعية ، ثم مدى استعداد تلك الجمهوريات للتفاعل مع الحكومات والشعوب الإسلامية الراغبة في مساعدتهم .

١ – جمهورية أذربيجان :

تقع على ساحل قزوين الجنوبي الغربي ، ويحدها من الجنوب إيران ، ومن الشمال بحر قزوين ، والداغستان وجورجيا ، ومن الشرق بحر قزوين ، ومن الغرب أرمينيا .

انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٩١ م ، ونظام الحكم فيها جمهوري ، لغتها لغة تركية ه ي " الأذرية " ، وتأتي اللغة الروسية في الدرجة الثانية ، وسكانها يعودون إلى عدة أصول – أهمها : الأذربيجانيون ، والأوكرانيون وجميعهم نصارى ، ,اليهود فنسبتهم ضئيلة.

يشكل المسلمون في أذربيجان نسبة مرتفعة.

مناخها معتدل ، ماطر طوال العام ، وبارد في الأجزاء الو سطى ، ويعتمد اقتصادها على الصناعات كصناعة الأنابيب المعدنية ، والمضخات ، والسجاد ، والصناعات الخفيفة ، ومعدات استخراج البترول ، وبناء السفن وعلى المحاصيل الزراعية كالحبوب ، والقطن ، والخضروات ، والعنب ، والشاي الأخضر ، وفيها عدد من المعادن كالبترول ، والغاز الطبيعي والحديد ..

٢ – جمهورية طاجكستان :

تقع في وسط آسيا ، ويحدها من الشمال قيرغيزيا وأوزبكستان ، ومن الجنوب أفغانستان ، ومن الشرق الصين ، ومن الغرب أوزبكستان ، لغتها الطاجكية ، وهي قريبة من اللغة الفارسية ، وهناك من يتكلمون اللغة الروسية والإيرانية

سركانها هم : الطاجيك ، والأوزبك والتتار، والقرغيز ، والتركمان بنسب ضئيلة وجميعهم مسلمون ، وهناك الروس ، والأوكرانيون، وهؤلاء من النصارى .

يشكل المسلمون (٨٤,٢%) من السكان الأصليين ، والنصارى (١١,٥%) ، وكانت نسبة المسلمين في عام ١٣٥٨ هـ حوالي (٩٨%) ، ولكنها تقلصت بفعل أساليب البطش الشيوعي ، والمسلمون سنة في معظمهم من أصحاب المذهب الحنفي ، وتوجد جماعات من الشيعة ، أكثرها من عنصر الطاجيك .

نظام الحكم في طاجكستان جمهوري .ويؤكد الطاجيكيون الذين يتحدثون اللغة الفارسية ، أن لهم تاريخاً وأصولاً فارسية ، ويقولون أن دولتهم الأولى كانت هي الدولة السامانية ، وأنه تعاقب على حكم منطقتهم الغزنويين والسلاجقة ، ويقولون أن طاجكستان الحالية ألحقت بالامبرا طورية الروسية في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي ، وأن طاجكستان حصلت على الحكم الذاتي عام ١٩٤٢ م ، لتغدو كياناً داخل أوزبكستان ، ثم انفصلت عنها عام ١٩٢٩ م لتصبح واحدة من الجمهوريات الخمس عشرة الأعضاء في الاتحاد السوفيتي ، وأنها انفصلت من الاتحاد عام ١٩٩١ م ، ويدور الآن في الجمهورية صراع حول السلطة بين العناصر العلمانية متمثلة في الحزب الوطني الديمقراطي الطاجيكي ، وبين حزب (

راستاخيز) أي " الانبعاث " ، والذي يدعو إلى إحياء التراث القومي المرتبط بالثقافة الفارسية ، وبين حزب النهضة الإسلامي والذي يتمتع بشعبية هائلة بين سكان الريف

٣ – جمهورية أوزبكستان :

تقع في إقليم تركستان في وسط آسيا ،

عاصمتها طشقند ، ولغة الجمهورية الرسمية هي اللغة الأوزبكية وهي قريبة من اللغة العثمانية ، أهم عناصرها السكان الأوزبك (٦٨،٧%) ، والتتار (٤،٢%) ، والطاجيك (٣،٩%) ، ومجموعة صغيرة أخرى ، وكل هؤلاء مسلمون ، أما النصارى في الجمهورية فهم الروس (١٠,٨%) ، والأوكرانيون (١،١%) ، وتوجد أقلية ضئيلة من اليهود بين السكان .

المسلمون هم أغلبية سكان الجمهورية ونسبتهم (٨٦،٨%) ، والنصارى يشكلون حوالي (١٢،٦%) ، واليهود (٠،٦%) .. والمسلمون سنة أحناف ، وهناك مجموعة من الشيعة الاثنا عشرية .

وتعتبر هذه الجمهورية بمثابة القائد الروحي لبقية الجمهوريات الإسلا مية في الاتحاد السوفيتي السابق ، لأن طشقند العاصمة كانت تحتضن مقر المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يشرف على شئون المسلمين هناك .

نظام الحكم فيها جمهوري ، وقد انفصلت عن الاتحاد السوفيتي في أواخر عام ١٩٩١م ، مناخها صحراوي ، حار صيفاً ، بارد قليل الأمطار شتاءً ، تعتمد في اقتصادها على الصناعات الخفيفة ، وصناعة الورق والبلاستيك ، وعلى المحاصيل الزراعية كالحبوب ، والأرز ، والخضروات والفواكه ، وفيها من المعادن الفحم والغاز ، والملح ، ونسبة الأمية بين سكانها تصل إلى حوالي ٧٠% .

٤ – جمهورية تركمانستان " تركمانيا " :

تقع في وسط آسيا ، تحدها كازاخستان من الشمال ، وأفغانستان وإيران من الجنوب ، وأوزبكستان من الشرق ، وبحر قزوين من الغرب .

عاصمتها (عشق آباد) ويتكلم سكان الجمهورية اللغة التركمانية واللغة الروسية وهناك لغات أخرى خاصة ببعض العناصر القاطنة داخل حدود الجمهورية ، ويشكل التركمان العنصر الرئيسي في البلاد وتصل نسبتهم إلى (٦٨،٤%) ، ثم الأوزبك (٨،٥%) ،والقازاق (٢٠،٢%) من السكان .

المسلمون هم أغلبية السكان ويشكلون (٧٩،٨%) ، والنصارى حوالي (٢٠،٢%) .. والمسلمون سنيون معظمعهم أحناف ، وهناك قلة من الشيعة الاثنا عشرية تعيش في المناطق الجنوبية القريبة من الحدود الإيرانية والأفغانية .

مناخها متباين قاري ، ثم معتدل في الشمال ، وصحراوي في الأجزاء الجنوبية ، اقتصادها يقوم على الصناعات الثقيلة مثل صناعة الجرارات ، وعلى الصناعات المعدنية والبلاستيك ، وبها محاصيل زراعية كالقمح ، والسكر ، وبذور عباد الشمس ، والفواكه .. إلخ ، وبها ثروة حيوانية ، وكانت تمد الاتحاد السوفيتي بالقمح ، ولذا سميت بسلة الخبز ، ومن أهم معادنها البترول والفحم والغاز الطبيعي ، والحديد والنحاس والملح ، ونسبة الأمية بين سكانها حوالي ٧٠% .

٥ – جمهورية كازاخستان :

إحدى جمهوريات وسط آسيا ، تحدها روسيا من الشمال وجزء من الصين وقيزغيرستان ، وأوزبكستان وتركمانستان من الجنوب ، والصين من الشرق ، وجزء من روسيا وبحر قزوين من الغرب .

عاصمتها (ألما – آتا) ، ولغة البلاد الرسمية هي القازاقية وهناك الروسية التي فرضها الشيوعيون عليهم ، وأهم عناصرها السكانية : القازاق (٣٦%) ، وهناك التتار ، والأوزبك ، والألغور ، والأذربيجان بنسب ضئيلة وهم كلهم مسلمون ، ويوجد بجانبهم الروس بنسبة (٤١،٩%) ، والأوكرانيون (٦،١%) ، والكوريون (٠،٦%) وهؤلاء كلهم من النصارى ، وهم غرباء من البلاد ، وكانوا مستعمرين لها حتى عام ١٩٩١م سنة إنفصال الجمهورية عن الاتحاد السوفيتي السابق .

ومعظم سكان الريف من المسلمين في حين يسكن النصارى المدن ويشكل النصارى معظم السكان إذ يبلغ نسبتهم (٥٨%) ، في حين أن نسبة المسلمين تصل إلى (٤١،٤%) ، إلا أن الروس بدأوا يعودون إلى روسيا حيث تزايدت نسبة المسلمين إلى (٥٠%) والمسلمون سنة أحناف وهناك قلة من الشيعة الاثنا عشرية .

٦ – جمهورية قرغيزستان :

موقعها في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى ، تحدها كازاخستان من الشمال ، والصين وطاجكستان من الجنوب ، والصين من ا لشرق وأوزبكستان وجزء من طاجكستان من الغرب .

، ولغة سكانها القرغيزية التي تكتب بالأحرف الروسية ، وهناك اللغة الروسية ، ولغات الأقليات الأخرى .

وأهم عناصر السكان : القرغيز، والأوزبك والتتار، وأقليات أخرى مثل الأويغور ، والقازاق ، والطاجيك ، وجميع هؤلاء مسلمون ، وهناك الروس والأوكرانيون وهم نصارى .

والمسلمون يشكلون ما نسبة (٧٧،٤%) وهم من أهل السنة ، ومذهبهم المذهب الحنفي ، وكالعادة هناك أقلية ضئيلة من الشيعة الاثنا عشرية ، ونسبة النصارى (٢٢،٦%) .

مناخ البلاد بارد ، وأمطار معظم أيام السنة ، وفي وسط البلاد مناخ حار جاف صيفاً ، اقتصادها يقوم على الصناعات الخفيفة والثقيلة ، وعلى بعض المحاصيل الزراعية كالحبوب ، والقطن ، والبطاطا ، والخضار والفواكه ، والعنب ، ونسبة الأمية عالية حوالي ٧٠% . وهناك الآن اتجاه رسمي وشعبي في الجمهورية إلى بناء المؤسسات الدينية ، وإقامة علاقات ثقافية واقتصادية وسياسية مع دول العالم الإسلامي .

المسلمون في شرق أوروبا :

لم يكن حال المسلمين في شرق أوربا بأسعد أو أحسن منه في الاتحاد السوفيتي السابق ، ذلك إن دول أوروبا الشرقية كانت حتى حين خاضعة لنفوذ الاتحاد السوفيتي الذي كان يهيمن ع ليها ، ويوجه سياساتها كلها ، سواء كانت تجاه المسلمين أو تجاه أمور أساسية أخرى ، ومن ثم فإن سياسة تلك الدول تجاه الإسلام هي نفس سياسة الاتحاد السوفيتي السابق تجاه .

انتشر الإسلام في بلاد شرق أوروبا بوسيلتين :

١- التجار المسلمون الذين كانوا يتاجرون بالفراء والسلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية ،

٢- عن طريق القبائل التتارية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي التي أسلمت واستقرت في شمال البحر الأسود وفي أسفل حوض نهر الفولجا .

ولكن دخول الإسلام إلى جنوب شرق أوروبا تأخر بسبب مناعة القسطنطينية التي حاول المسلمون ودخولها منذ عام خمسين للهجرة ، وفي أواخر القرن الرابع الهجري بدأ المسلمون البلغار الذين سكنوا حوض نهر الفولجا يهاجرون إلى جهات بلغاريا ، ويوغسلافيا ، وألبانيا ، والمجر – لكن أثرهم في تلك البلاد كان ضعيفاً ،

ولم يدخل الإسلام بصورة وا ضحة وفاعلة ، ولم يتعزز وجوده إلا حينما فتح السلطان العثماني محمد الفاتح عاصمة الدولة البيزنطية (القسطنطينية) في عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م ، وأصبحت عاصمة للدولة العثمانية . ومركزاً لانطلاق حملات الفتح العثماني لبقية أراضي شبه جزيرة البلقان ، فاجتاحت جيوش العثمانيين لبقية أراضي شبه جزيرة البلقان ، فاجتاحت جيوش العثمانيين فاتحة وناشرة للإسلام في تلك الأصقاع من جنوب شرقي أوروبا ، واستطاعت تلك الجيوش أن تحاصر (فينا) مرتين ، كانت أخراها في عام ١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م .

وبفضل جهود العثمانيين صارت معظم أقطار شرق أوروبا مقراً ل جاليات إسلامية ، وأصبحت بعضها دولاً إسلامية ، كدولة ألبانيا التي لازال أكثر سكانها من المسلمين ، ووجدت جاليات إسلامية كثيرة في يوغسلافيا ، وفي رومانيا ، وبلغاريا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولنده .

ثم عندما ضعفت الدولة العثمانية ، وعندما انهارت تماماً بعد الحرب العالمية الأولى بدأ نفوذ الإسلام ينحسر عن تلك الجهات ، وعندما وقعت تحت السيطرة الشيوعية شهد الإسلام والمسلمون فيها ما شهدوه في الاتحاد السوفيتي ، فكانت معاناتهم كمعاناة إخوانهم المسلمين العائشين تحت سلطان البطش الشيوعي السوفيتي .

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، وتفكك جمهورياته انهار الحكم الشيوعي في كل دول أوروبا الشرقية ، وتفككت العديد من دولها ، وأصابت بعضها الحروب الأهلية ، وتمزقت إلى دويلات صغيرة ، كما هو الحال في يوغسلافيا السابقة . نستعرض فيما يلي الوجود الإسلامي في بعض دول أوروبا الشرقية :

١ – ألبانيا :

هي جمهورية اشتراكية في نظام حكمها ، استقلت إدارياً عام ١٩١٢م وتقسم إدارياً إلى ٢٦مقاطعة ، وتقع ألبانيا في جنوب أوروبا ، في الجزء الغربي من شبة جزيرة البلقان بين يوغسلافيا واليونان وبحر الأدرياتيك ، وعاصمتها (تيرانا) .

دخلها الإسلام في أخريات القرن الثامن الهجري / وأخريات الثالث عشر الميلادي من الفتح العثماني ، الذي أخضعها لسلطان الدولة العثمانية في معركة " قوصوا " في عام ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م ، وانتشر الإسلام فيها خلال فترة وجيزة فصارت البلد الأوروبي الوحيد الذي يتمتع بأغلبية مسلمة ، إذ وصلت نسبة المسلمين فيه أكثر من (٨٥%) من السكان الذين يبلغون اليوم حوالي ٢ مليون نسمة ، أما النصارى الكاثوليك والأرثوذكس فأقلية لاتتعدى الـ(١٤%) والمسلمون من أهل السنة الأحناف وتنتشر بين المسلمين الطرق الصوفية مثل البكتاشية ، والخوتية ، والرفاعية .

وحين ضعفت الدولة العثمانية وانفصلت عنها دول البلقان ، تبعتها ألبانيا ، ونالت استقلالها التام في أواخر الحرب العالمية الأولى ، ثم وصل الشيوعيون في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى السلطة ، وحكم أنو خوجة البلاد مدة إحدى وأربعين عاماً عزلها تماماً عن العالم حتى عن جارتها الشيوعية يوغسلافيا ، وسام المسلمين العذاب كما فعل الشيوعيون في الاتحاد السوفيتي والصين وعمل على حرب الإسلام ، واقتلاعه من جذوره ، وأعلنت حكومته في عام ١٩٦٧م أنها أغلقت ٢١٦٩ مبنياً دينياً ، معظمها مساجد ، وأعدمت عدداً كبيراً من الأئمة ورجال الدين بتهم الدعاية ضد الدولة ، أو التحريض أو حيازة كتب دينية ، وفي دستور ١٩٦٧م نصت المادة الثالثة على أن الدولة لا تعترف بأي دين ، وتعمل على بث الدعاية الإلحادية بغرض غرس النظرة المادية في نفوس المواطنين .

٢ – يوغسلافيا (السابقة) :

انهارت وتفككت في أعقاب الانهيار الشيوعي ، وما زالت دولها المتفككة تشهد عدم الاستقرار حتى اليوم ، وقد كانت قبل ذلك دولة بلقانية تتاخم حدودها جميع الدول البلقانية : المجر ، رومانيا ، بلغاريا ، اليونان وألبانيا ، وكانت مجموعة جمهورية اتحادية تتكون من ست جمهوريات صغيرة هي : صربيا ، وهي أكبر الجمه وريات وعاصمتها بلغراد العاصمة الاتحادية ، وكرواتيا والبوسنة والهرسك وعاصمتها سيراجيفو ، ومقدونيا، وسلوفينيا وأخيراً جمهورية الجبل الأسود وعاصمتها وهي أصغر الجمهوريات .

وصل الإسلام إلى هذه الجمهورية التي بلغ عدد سكانها أكثر من ٢٢مليون نسمة، بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، إلا أنه ازداد بشكل كبير مع الفتح العثماني ، ويشكل المسلمون حالياً حوالي ٢٠% من السكان في يوغسلافيا ، أي أن عددهم أكثر من ٤,٥ مليون نسمة ، يكون البشناق نصف عددهم ، ثم يليهم الألبان وعددهم حوالي ١,٥مليون نسمة ، معظمهم في إقليم كوسوفا حيث اجتزئ هذا الإقليم من ألبانيا في الحرب العالمية الأولى ، ثم الأتراك وقد قل عددهم بسبب هجرتهم إلى تركيا ، ولكل قومية من هذه القوميات لغتها ومدارسها الإسلامية .

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا ، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا ، واضطرت الدولة العثمانية للتخلي عن إدارة البوسنة والهرسك سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م ، لإمبراطورية النمسا والمجر .

وبعد الحرب العالمية الثانية تسلم الشيوعيون الحكم بزعامة " تيتو" ، وتعرض المسلمون لمذابح وأذى كثيراً ، وهدمت معظم مساجدهم ومدارسهم ، وألغيت المحاكم الشرعية ، وكانت خطة " تيتو" أن يقضي على جيل كامل من المسلمين القدامى ، فقد أباد الشيوعيون عند تسليمهم الحكم ٢٤ألف مسلم ،

٣ – بلغاريا :

دولة صغيرة تشرف على البحر الأسود من الناحية الشرقية ، وعدد سكانها حوالي تسعة ملايين نسمة ، سميت باسم قبائل البلغار التي أسلم كثير منها قبل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ثم دخول معظم أراضيها في حكم المسلمين حين فتحها السلطان العثماني مراد الأول ، وابنه بايزيد بالتدريج ، واستغرق فتحها الفترة من ٧٤٤-٧٩٩هـ / ١٣٩٦م ، فأصبحت جزءاً من ديار الإسلام ، وقاعدة لانطلاق الجيوش العثمانية إلى أواسط أوروبا ، وبقيت ولاية عثمانية لمدة خمسة قرون ، حتى عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م ، حيث انتشر الإسلام فيها ذلك انتشاراً كبيراً .

وقد انفصلت بلغاريا عن الدولة العثمانية ، بدسائس الدولة الأوروبية وإثارة النعرات القومية ، وكونت بها مملكة قائمة بذاتها سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، بعد أن هجرها كثير من المسلمين ، وهاجر إليها كثير من النصارى ، وانضمت لألمانيا في الحرب العالمية الأولى والثانية ، فغزاها الروس ، وسيطر عليها الشيوعيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، فأصبحت ضمن منظومة الدول الشيوعية .

وكان المسلمون أغلبية سكانية في بلغاريا قبل استقلالها ، ولكن تعرض المسلمون لكثير من الظلم والاضطهاد بعد الاستقلال ، فهاجر كثير منهم إلى خارج بلغاريا ، وحل محلهم البلغار الذين استقدموا من البلدان المجاورة ، كما تقلصت أعداد المسلمين بسب ب تعرضهم للتنصير الإجباري ، والتشريد ، ومحاولات تذويبهم في المجتمع النصراني ، فصودرت مدارسهم ومساجدهم .

وبعد انهيار الشيوعية سمح للمسلمين البلغار بالعودة إلى مدنهم وقراهم في شمال وجنوب بلغاريا ، فعاد منهم حوالي مائة ألف مسلم ، ول كنهم وجدوا منازلهم ومتاجره م قد هدمت ، أو احتلها البلغار الآخرون ، وشهد المسلمون انفراجاً نسبياً فأخذوا في إعادة بناء وتأهيل مساجدهم ومدارسهم الإسلامية ، وبدأت بعض الهيئات الإسلامية تظهر للوجود ، وتحاول مزاولة نشاطها في أوساط المسلمين ، كالهيئة المؤقتة للإفت اء ، وكجمعية الإرشاد الخيرية الإسلامية ، وغيرها ، ولكن السلطات البلغارية النصرانية تقف للمسلمين بالمرصاد ، وما لم يتحرك العالم الإسلامي ومنظماته للدفاع والذود عنهم ، وما لم تضغط الدول الإسلامية على الحكومة البلغارية ، لتصلح من أساليبها ضد المسلمين ، فإن معاناة المسلمين ستستمر ، ومحنتهم لن تتوقف .

٤ – رومانيا :

تقع في شمال شرق البلقان ، وهي أحد جمهوريات أوروبا الشرقية الاشتراكية ، وسكانها حوالي ٢٢,٥ مليون نسمة ، وعاصمتها ((بخارست)) .

دخلها الإسلام عن طريق الدعاة الأتراك في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وقد بدأت الدعوة الإسلامية في رومانيا حوالي عام ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م على يد داعية تركماني يدعى (سامي سالتيك) على وجه التحديد ، ثم جاءتها هجرات تركية زادت من انتشار الإسلام فيها ، ثم اتسعت دائرة الإسلام وعم مدنها وقراها يوم أن فتحها العثمانيون في الفترة ٨١٤ – ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م .

تعرض المسلمون بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحروب العالمية الأولى إلى ألوان عديدة من الاضطهاد ، فهاجر الآلاف منهم إلى تركيا ، فقتل عدد المسلمين في رومانيا ،ومورست بحقهم عدة امور منها:

من إهمال لهم ، وللتعلم الإسلامي ، وتضيق عليهم – وبالرغم من ذلك فقد حافظت بعض المناطق على أسمائها وأوضاعها الإسلامية مثل مدينة المجيدية في جنوب رومانيا على البحر الأسود

٥ – بولنده :

تعتبر من دول وسط أوروبا ،يرجع دخول الإسلام إلى بولنده إلى التتار الذين انطلقوا في القرن السابع الهجري / منتصف القرن الثالث عشر الميلادي نحو الغرب إلى بولنده ، واستقرت جماعات منهم هناك ، وكان ملوك بولنده يسمحون لتلك الجماعات المسلمة باستقدام علماء الإسلام ، وإرسال أبنائهم إلى مصر لطلب العلم والتفقه في الدين فضلاً عن السماح لهم بأداء فريضة الحج، وكانت هذه الجالية تتمتع باحترام ملوك بولنده .

وقد ازداد اتصال بولنده بالشرق الإسلامي بعد امتداد نفوذ العثمانيين إلى شمال البلقان خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وأصبحت بولنده سوقاً للسلع والتحف التركية والإيرانية – كما كان الحج وسيلة اتصال أخرى لمسلمي بولنده بإخوانهم في البلاد الإسلامية .

ويتراوح عدد المسلمين حالياً بين ١٥- ٢٠ ألفاً ، مهددون بالانقراض لعدم وجود المدارس الإسلامية ، وبسبب عزلهم من العالم الإسلامي ، وبسبب عدم وجود علماء يعلمون الناس أمور دينهم ، ثم بسبب كثرة الزواج المختلط نتيجة لضعف الوعي الديني .

٦ – المجر :

وصل الإسلام إلى المجر عن طريق البلغار الذين انطلقوا من حوض نهر الفولجا في القرن الرابع الهجري / العشر الميلادي نحو الجنوب الغربي ، وتوزعوا في شبه جزيرة البلقان فاستقرت جماعة منهم في بلاد المجر ، وكان بينهم مسلمون عملوا على نشر الإسلام في تلك البلاد .

وعندما دخل العثمانيون المجر عام ٩٩٤هـ / ١٥٨٦م أقبل قليل من السكان على اعتناق الإسلام ، واستقرت جماعة من المسلمين الأتراك في البلاد بقيت حتى خروج العثمانيين من العاصمة بودابست عام ١٠٩٨هـ / ١٦٨٧م وكان في البلاد عدد من المساج د والمدارس الإسلامية والمكتبات ، لم يبق منها اليوم إلا مسجداً واحداً .

وتجدر الإشارة إلى وجود عدة آلاف من المسلمين الذين جلبهم الأتراك والتتار في مناطق أخرى في شرق أوروبا مثل تشيكوسلوفاكيا وألماني ا الشرقية .

وجهة العالم الإسلامي

لقد تعرضنا بإسهاب فيما سبق إلى المشكلات والتحديات الجسيمة التي تواجه عالمنا الإسلامي اليوم ، ونود أن نشير إلى بعض الحلول المقترحة لتلك المشكلات والتحديات .

مواجهة المشاكل والتحديات :

إن البناء الجديد للمجتمع المسلم لا يكون إلا بتربية الشخصية المسلمة حتى نعرف وجهتها الصحيحة ، و ذلك بإقامة المؤسسات الإسلامية التي تسهم في هذا البناء ، فتعود للمسجد رسالته ، وتبنى المدارس الإسلامية من جديد ، وتوضع لها المناهج التعليمية والتربوية الصحيحة ، ويقوى الإعلام الإسلامي الذي يسهم في توعية جماهير الأمة الإسلامية ، ويوجهها الوجهة الإسلامية السليمة .

وإن لم يكن في مقدور الأمة إصلاح كل أمورها ، فعليها أن تبدأ بما تستطيع إصلاحه وبناءه من جديد ، فعليها أولاً تصحيح مسارها ورفض مناهج أوربا ومفاهيمها التي لا تتسق والمفاهيم الإسلامية ، والعودة إلى الإسلام ، وتفعيله في حياتها من جديد ، وحمل رسالته ليكون هاديها وقائدها في مسيرتها كلها ، فما دامت الأمة تسير في ركاب الغرب الأوروبي دون وعي أو إدراك ، فستبقى أوروبا صاحبة السيادة والقيادة والتصرف في أمر المسلمين ، ولن تتخلص الأمة من قيود الذل والضعف إلا بالتخلص من قيود التبعية بكل ألوانها الفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية .

ولابد أن تتجه الأمة إلى التمسك بعقيدتها الإسلامية الصحيحة ، وبترابطها ووحدتها الإسلامية ، فذلك هو الطريق الوحيد إلى استرداد ق وتها ومجدها ، وهذا هو السلاح المعنوي الذي يجب أن تتسلح به الأمة قبل أن تلجأ إلى التسلح بقوة السلاح ، والأساليب المادة الأخرى ، وعلى قادة الأمة وعلمائها ودعاتها والحريصين على مستقبلها وهويتها ، أن يغرسوا الإسلام والإيمان من جديد في قلوب أبنائها ، وعليهم إيقا د عاطفتهم الدينية ، وربطهم بتراثهم الإسلامي..

وكل المؤامرات والأوضاع المحزنة التي يعاني منها المسلمون إنما ترج ع أساساً إلى عدم تمسكهم بعقيدتهم الإسلامية الصحيحة ، وإلى غياب الإسلام منهجاً وسياسة وتطبيقاً عن حياتهم ، وإلى تبعيتهم للقوانين والمبادئ ، والنظم العلمانية المستوردة ، ثم فوق هذا وذاك إلى فقدان الوحدة الإسلامية ، وانعدام التعاون بين الأقطار الإسلامية ، الأمر الذي جعلها فريسة سهلة لأعدائها المتكالبين على تفريق كلمتها ، وابتزاز مواردها وطاقاتها ، وإبعادها عن دينها الإسلامي .

فالعقيدة الإسلامية توحد كيان الفرد المسلم ، كما توحد الأمة الإسلامية ، وتجمع شملها ، فالمؤمنون أخوة في كل زمان ومكان – كما تقرر المبادئ الإسلامية – كالجسد الواحد بتضامنها ، وتكافلها في كل ما يأتيها من خير ، أو يلحقها من ضرر ، فالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " ، وقوله : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " ،

الاقتصاد الإسلامي في خدمة العالم الإسلامي :

يمكن للإسلام أن يقدم حلولاً تخدم العالم الإسلامي من الناحية الاقتصادية ، ذلك أنه إذا ما التزم البشر بالفكرة الاقتصادية الإسلامية ، فإنهم سيجدون فيها الحل الشافي لكل عللهم الاقتصادية ، فالإسلام يعتبر أن صلاح المجتمع أساسه صلاح النفس ، وفساد المجتمع أيضاً أساسه فساد النفس ، ذلك أن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ومع ذلك فإن الإسلام لم يهمل الإصلاح العملي ، وعليه فقد اهتم بالنواحي الاقتصادية ، وقرر لها مبادئ إسلامية عامة ، فهو ينظر إلى الثروة كعرض من أعراض الحياة الدنيا ، ووسيلة من وسائل تيسير الحياة على الناس ، فهو لم يذم المال ، وإنما جعله مجرد وسيلة إن استخدمت في الخير فهي في الخير ، وإن استخدمت في الشر فهي في الشر ، فالمال ليس وسيلة إلى المتعة واللذة ، ولا هو غاية الناس في الحياة ، فيقتتلون من أجلها ، ويأكل بعضهم بعضاً .

والإسلام يحث على الكسب والعمل ، ولا يريد أن يكون المسلم عاطلاً ، ولكن يريده عاملاً مكافحاً يستغل المال لخيره وخير أمته ، وخير أهله ، ويعتبر هذا عبادة من العبادات ، والإسلام لا يقر التجرد والانقطاع عن الدنيا ، كما تقول بعض الشرائع الأخرى ، بل اعتبر الساعين وراء الكسب من الساعين إلى الخير ، واعتبره قرة إلى الله سبحانه وتعالى ،

كما حدد الإسلام منابع الثروة وأنواعها ، فجعلها التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، وآيات القرآن الكريم تشير إلى ذلك ، كما تتحدث عن ثروة المعادن ، والثروة المائية والحيوانية .

وكذلك حدد الإسلام مفهوم الملكية ، ومقوماتها وأنواعها ، وبين أحكام المعاملات من بيع ، وشراء ، وتجارة ودين ،

والإسلام يحرم الكسب الحرام ، ويوصي بالتعامل بالأمانة ، والوفاء ، وعدم الغش ، ويحرم الإسلام الربا ، ولا يقر أخذ مال الغير بغير حق شرعي كالغصب ، والسرقة والغلول ، وهو سرقة الأموال العامة ، وما يأخذ بطريقة القمار ، وأخذ المال في مقابل عمل محرم كالبغاء والرشوة وارتكاب الجرائم لقاء أجر ، والعقود المحرمة وفي مقدمتها الربا ، وكل ملكية تكسب بطريق عقد باطل .

وإلى جانب تحريم الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، فقد حرم الإسلام أيضاً الاحتكار ، والجشع والاستغلال ، ونهى أن يكون المال دولة بين الأغنياء ، كما قرر الإرث والوصية لتوزيع الثروة وعدم تجميعها في أيد معدودة .

ولم يفصل الإسلام الحياة الاقتصادية عن الحياة الدينية والخلقية ، فإن الإنسان خلق لعبادة الله ، وما في الأرض من ثمرات خلق لعين الإنسان في تلك العبادة ، كما أن الإنسان حث على السعي في طلب الرزق وأباح الملكية الفردية ، وبين الحلال والحرام في الكسب ، ولقد ترك الإسلام للدولة أن تضع خططها الاقتصادية في هذه الأطر الإسلامية بما يناسب ظروفها وزمانها .

فأهداف الاقتصاد الإسلامي أهداف أخلاقية ، وليس هدفه الإنتاج والربح المادي البحت الذي يجعل الحياة تكالباً وصراعاً وشقاءً ، وهو مبني على قواعد أساسها العدل ، وتكافؤ الفرص ، والتعاون والتكافل ، وكذلك التوازن بين حرية الفرد ومصلحة المجتمع ، فجمع بين حرية الفرد وتدخل الدولة إقرار للعدالة والتكامل ومنعاً للظلم والاستغلال ، مما يجعله متميزاً ومستقلاً عن سائر الأنظمة الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية ، ومبرأً من نقائضها وعيوبها ، وهو يقرر الكليات ويترك التفـاصيل لاجتهاد القائمين على معرفة ظروف الأمة وحاجاتها ، والملتزمين بكليات الشرع الإسلامي .

الأخذ الواعي بأسباب الحضارة :

الحديث عن أسباب تدهور المسلمين ، وتقدم الغربيين ، أمر مطروق لا نود الخوض في تفصيلاته ، وتكفي الإشارة إلى ما قاله ورددہ الكثير ون من أن تـأخر المسلمين عن ركب النهضة الحديثة ناتج عن تخليهم عن إحدى المميزات الأساسية للإسلام وهي التوافق التام بين العقيدة وبين ضرورات الحياة ، ما لم يحدث ذلك التوافق ، وما لم يتمسك المسلمون ويعودون إلى جوهر دينهم ، فلن تقوم لهم قائمة ، وسيظلون يتخبطون في دياجير الجهل والتخلف .

الإسلام دين يحض على العلم والتعلم ، وهو دين لا يتعارض والعلم الحديث ، بل يحث أتباعه على طلبه، وعليه لا مناص للمسلمين من العمل على الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، ولكن في كثير من الوعي والتدبر ، فهم في غنى عن جوانبها الروحية والمعنوية ، ولكنها بحاجة إلى تقدمها التقني ، ومنجزاتها المفيدة ، وحتى في محاولة الاستفادة من التطور التكنولوجي ، فلابد من الاهتمام بالقيم الإسلامية حتى تك ون استفادتنا من التطور العلمي والتقني إيجابية ومفيدةً .

أضف إلى ذلك أن العالم الإسلامي لن يتجاوز أزمة الجوع والفقر ، و التخلف إلا بالاستعانة بالتكنولوجيا في عصر تتطور فيه المعارف ، وتنمو بسرعة مذهلة – والتكنولوجيا تحتاج إلى تهيئه اجتماعية ، وتعليمية – قد تأخذ الكثير من وقت دول العالم الإسلامي التي يرزح معظم سكانها تحت ظلام الأمية والجهل ، ولكن لا مهرب من مواجهة التحديات الجسام والتغلب عليها ، والأخذ بأسباب النهضة الحديثة بما يتوافق مع مبادئ الشرع الإسلامي ، والطريق إلى ذلك صعب وطويل ، ولكن لابد من أن نبدأ أولاً بترجمة المراجع العلمية الكبرى في شتى مجالات التخصص والميادين التي نحتاج إليها – إلى اللغة العربية ، ولابد من إنشاء هيئات أو مؤسسات لتحقيق هذا الغرض ، وهو نقل الحضارة العالمية إلى اللغة العربية ، وعن طريق ترجمة تراث العالم القديم – الإغريقي وغيره – اكتسب علماء الإسلام الأوائل المهارات العلمية ، وأنجزوا وأضافوا إلى المعرفة البشرية ، الحضارة الإنسانية – وإسهاماتهم تلك حقيقة لا تحتاج إلى بيان ، وإسهامهم في الحضارة الأوروبية الحديثة التي قامت على ترجمة علومهم ومعارفهم – أمر لا يختلف عليه إثنان .**